

التاريخ المحلي في الحجاز نشأته وتطوره حتى نهاية القرن الثالث الهجري

د/ فهد بن عبد العزيز محمد الدامغ (*)

للحجاز منزلة رفيعة ومكانة متميزة في نفوس المسلمين، فهو مهبط الوحي ومنبع الرسالة، فيه شمع نور الإسلام، وعاش الرسول عليه أفضل الصلاة وأطيب السلام، وصاحبته الكرام، وعلى ثراه قامت دولة الإيمان، ومن مركزية مكة والمدينة تطلقت قوافل الهداية تنشر النور في أرجاء المعمورة.

والحجاز يتبوأ مكانة متميزة في تاريخ الإسلام وحضارته، وبخاصة في فترة نشأتها الأولى، فلقد كانت كل من مكة والمدينة من أهم مراكز الحركة العلمية في العالم الإسلامي في القرون الثلاثة الأولى، إن لم تكن أهمها على الإطلاق وبخاصة في صدر الإسلام.

وعندما انتقل مركز الخلافة من الحجاز إلى الشام ثم العراق لم تفقد كل من مكة والمدينة مكانتهما العلمية وريادتهما الفكرية، فقد بقي فيها عدد كبير من العلماء الأجلاء من جيل الصحابة ثم من التابعين، وقدم إليهما طلاب العلم من مختلف أقاليم العالم الإسلامي لينهلوا من معين هؤلاء العلماء، واستقر كثير منهم في مكة والمدينة واتخذوها وطناً لهم فتواصلت المسيرة، وظهر فيهما أجيال من العلماء، كان لهم فضل السبق والريادة في كثير من العلوم.

(*) أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية المساعد بكلية الشريعة واللغة العربية - ركن الخيمة.

وقد بينت الدراسات الحديثة التي تناولت الحركة الفكرية عند المسلمين بعامة خلال القرون الثلاثة الأولى، أو الحياة العلمية في الحجاز بخاصة سبق مدرسة مكة والمدينة في ميادين علوم الحديث والتفسير والفقه^(١)، كما أشارت الدراسات التي تناولت حركة التكوين التاريخي عند المسلمين إلى مدرسة المدينة التاريخية ولوّضحت سبقها وريادتها في مجال تكوين السيرة والمغازي بصفة خاصة^(٢).

إن تتبع المصادر التاريخية يكشف أن لمدرسة الحجاز التاريخية بجناحيها مكة والمدينة فضل الريادة والسبق في مجال آخر لم تبرزه الدراسات الحديثة، بل نسب أحياناً إلى غير هذه المدرسة^(٣) وهو مجال تكوين التاريخ المحلي، أو تاريخ المدن.

وهذا البحث ((التاريخ المحلي في الحجاز نشأته وتطوره حتى نهاية القرن الثالث الهجري)) يعنى في إطاره الموضوعي بتتبع الجذور الأولى لنشأة الاهتمام بالتاريخ المحلي في بلاد الحجاز، وما يتصل بذلك من تدرج تطور المعارف التاريخية، ونمو المادة العلمية التاريخية، حتى ظهور هذا النمط من الكتابة التاريخية وتكوين المؤلفات الأولى في التاريخ المحلي ببلاد الحجاز، ثم بعد ذلك تتبع تطور هذه المؤلفات والتعريف بها وبمؤلفيها حتى نهاية القرن الثالث الهجري.

والمقصود بالمؤلفات في التاريخ المحلي للحجاز هي المؤلفات المتخصصة في تاريخ هذا الإقليم بعامة، أو إحدى مدنه، وفق المصطلحات والتقسيمات المستخدمة في تصنيف أنماط التكوين التاريخي، وبهذا لا يدخل في هذه الدراسة المؤلفات في السيرة والمغازي، والأنساب والطبقات العامة لأنها تعد أنماطاً مستقلة بذاتها في التكوين التاريخي رغم أنها تضم مادة علمية كبيرة تتصل بتاريخ الحجاز والإشارة إليها في هذا البحث سوف تقتصر على بيان أثرها في توفير مادة

علمية ساعدت في ظهور التاريخ المحلي، لأن بعض هذه الأنماط وبخاصة السيرة والأنساب ظهرت قبل التاريخ المحلي.

وهذا البحث يدخل في إطاره العام في باب ((تاريخ التاريخ عند المسلمين)) أي دراسة نشأة الوعي التاريخي والكتابة التاريخية عند المسلمين وتطورهما، وما صاحب ذلك من مناهج واتجاهات وأنماط في التتوين التاريخي، وهو باب لازال بحاجة إلى مزيد دراسة وبحث وبخاصة في بعض المراكز العلمية التي لم تحظ بعناية كافية في هذا الجانب، ومنها الحجاز.

إن دراسة هذا الموضوع تستدعيها أمور منها: بيان ريادة مكة والمدينة وسبقهما في هذا النمط من أنماط الكتابة التاريخية عند المسلمين، وتوضيح ما ورد في بعض الدراسات من ألوهام بهذا الشأن، ومنها تأكيد مكانة مكة في مجال بداية التتوين التاريخي وأنها كانت الجناح الثاني لمدرسة الحجاز التاريخية، إذ يلاحظ أن كثيراً ممن كتبوا عن مدارس التتوين التاريخي الأولى عند المسلمين يقتصرون على ذكر المدينة ويغفلون مكة^(٤)، مع أنها من أول المراكز التي عنيت بالتاريخ المحلي بصفة خاصة.

والفترة التي يتناولها هذا البحث تمثل الحلقة الأولى في مسار حركة التتوين التاريخي في الحجاز خلال الفترة الممتدة من ظهور الإسلام حتى القرن العاشر الهجري، ذلك أن حركة التتوين التاريخي في الحجاز مرت خلال هذه القرون العشرة بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى من ظهور الإسلام حتى نهاية القرن الثالث الهجري، وهي مرحلة النشأة والتطور ثم الازدهار والقوة، وهي موضوع هذا البحث.

والمرحلة الثانية تمتد فترة طويلة تقارب خمسة قرون من مطلع القرن

الرابع الهجري حتى أواخر القرن الثامن الهجري، وهي مرحلة تراجع وضعف لم يظهر خلالها في بلاد الحجاز مؤرخون ذوو شأن يعنون بتاريخها ويدونون أخبارها، لذلك ضاع منه الكثير.

المرحلة الثالثة وتبدأ من أواخر القرن الثامن الهجري وهي مرحلة نشاط وازدهار وقوة امتدت عدة قرون ويعود للفضل فيها إلى جهود مؤرخين كبار أمثال الفاسي، وآل فهد، والسمهودي.

الوعي التاريخي وتطور الاهتمام بالمعارف التاريخية في الحجاز خلال القرن الأول الهجري:

من المعلوم أن عدداً من العلوم ومنها للتاريخ نشأت عند المسلمين متسلسلة متكاملة، وكانت في أول نشأتها متداخلة وتسير في مسار واحد ضمن نهضة علمية شاملة أخذت تنمو وتتطور بسرعة، وهي أشبه ما تكون بشجرة بدلت بساق واحدة، ثم ما لبث أن تفرع منها فروع متعددة فأصبحت شجرة باسقة، فالتاريخ على سبيل المثال يدين في نشأته الأولى لعلم الحديث ورجاله^(٥)، كما أنه استفاد من علوم أخرى مثل التفسير وعلوم اللغة وآدابها، وفي الوقت نفسه أفاد تلك العلوم جميعاً ومنها الحديث، لذلك لا يمكن معرفة نشأة علم التاريخ ومعرفة جذوره الأولى بصورة دقيقة وبداية اهتمام المسلمين به، إلا من خلال معرفة المسار العام لنشأة العلوم الأخرى التي ارتبطت بها وارتبطت به.

ولاشك أن ظهور الوعي التاريخي والاهتمام بالمعارف التاريخية بدأ عند المسلمين في وقت مبكر جداً من تاريخهم، خلافاً لما زعمه بعض المستشرقين مثل بلاشير^(٦) وجب^(٧) من عدم وجود أي حاسة تاريخية لدى المسلمين في القرن الأول الهجري.

وهذا البحث يقتصر على إقليم واحد من أقاليم بلاد المسلمين، لكنه يمثل النموذج الذي يثبت وجود هذا الوعي وظهور هذا الاهتمام لدى المسلمين في وقت مبكر، وينفي ذلك الزعم.

وقبل أن نعرض لبداية ظهور الوعي التاريخي والاهتمام بالمعارف التاريخية في الحجاز يحسن أن نشير بإيجاز إلى أبرز الأسباب والدوافع التي أدت إلى اهتمام المسلمين بالتاريخ، ومنها:

لن الإسلام دين تاريخي الروح، فالمعقيدة الإسلامية لا تعد نفسها جديدة بل هي امتداد للرسالات السماوية السابقة ومتممة وخاتمة لها، وبالتالي فتلك الرسالات هي بمثابة العمق التاريخي لرسالة الإسلام. قال تعالى: (مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ) (الحج: من الآية ٧٨)، وقال تعالى: (قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (آل عمران: ٨٤).

وقال الرسول ﷺ مبيناً صلته وصلة دعوته بالأنبياء السابقين: ((إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زلوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة، فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين)) (٨).

ورد في القرآن الكريم أخبار كثير من الأمم الماضية، كما ورد فيه آيات كثيرة عن السيرة النبوية وبعض الأحداث التي وقعت في عصر الرسول ﷺ، ولا شك أن لهذا أثراً في إثراء المعرفة التاريخية عند المسلمين وإنكاء الوعي التاريخي

للتبوية تضمنت أخباراً مماثلة.

الحاجة إلى معرفة أمور مهمة ترتبط بالحاجات الدينية التشريعية، ومنها: معرفة أسباب نزول بعض الآيات، والناسخ والمنسوخ في الأحاديث النبوية، ومعرفة سيرة الرسول ﷺ باعتباره أسوة وقوة للمسلمين، وباعتبار أقواله وأفعاله وتقريراته مصدراً من مصادر التشريع. ويمكن أن نضيف إلى ذلك أيضاً الرغبة في معرفة تاريخ الحرمين الشريفين والمشاعر المقدسة بخاصة مكة والمدينة بعامّة باعتبارهما مهد الإسلام ومنطقته، وموطن الرسول ﷺ وصحابته.

كل هذا إلى جانب دوافع أخرى سياسية، واجتماعية، وفكرية جعلت المسلمين يولون التاريخ اهتماماً كبيراً أدى إلى ظهوره كمعرفة لها حاجاتها ومكانتها في منظومة الفكر الإسلامي منذ وقت مبكر^(٩).

وفي بلاد الحجاز - موضوع هذا البحث - حظيت المعارف التاريخية بعناية واهتمام كبيرين منذ ظهور الإسلام، وسوف نورد فيما يلي نبذة عن تطور هذا الاهتمام خلال القرن الأول الهجري، مع التركيز على ما يمكن أن يعد جنوراً أولى للتاريخ المحلي في الحجاز، أو مادة علمية ساعدت فيما بعد في ظهور هذا النمط من أنماط الكتابة التاريخية عند المسلمين في هذا الإقليم.

لقد كان الصحابة رضي الله عنهم منذ عصر الرسول ﷺ يولون المعارف التاريخية اهتماماً، فقد ورد أن الرسول ﷺ دخل المسجد فرأى جمعاً من الناس على رجل، فقال ما هذا؟ قالوا رجل عالم بأيام الناس، وعالم بالأشعار، وعالم بأنساب العرب^(١٠) وقال جابر ابن سمرة رضي الله عنه ((جالست رسول الله ﷺ أكثر من مائة مرة، فكان أصحابه ينشدون الأشعار في المسجد، وأشياء من أخبار الجاهلية، فربما تبسم رسول الله ﷺ))^(١١).

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يعد من أبرز العارفين بالأنساب وقد أخذ عنه هذا العلم بعض الصحابة رضي الله عنهم، ومنهم جبير بن مطعم بن عدي القرشي^(١٢).

أما عمر بن الخطاب رضي الله عنه فهو أول من قرر التاريخ الهجري ليكون تاريخاً رسمياً للمسلمين وكان ذلك في سنة (١٧هـ/٦٣٧م)^(١٣)، واعتماد تاريخ رسمي محدد وموحد أمر في غاية الأهمية في مجال التوثيق التاريخي للأحداث والتراجم وغيرها، وهو عنصر حيوي في بناء الفكر التاريخي.

وعلاوة على ذلك فقد أولى عمر رضي الله عنه المعارف التاريخية اهتماماً كبيراً، فقد ورد أنه كان مهتماً بتاريخ الكعبة^(١٤)، ونكر كل من الأزرقى والفاكهي أن عمر رضي الله عنه سأل كعب الأحماس عن أمور تتعلق بتاريخ البيت الحرام وزمزم^(١٥).

وكلف عمر رضي الله عنه ثلاثة من الصحابة الذين لهم معرفة بالأنساب والأخبار بأن يدونوا ثبناً بأنساب القبائل، ولعل هذا الأمر يعد أول تكليف رسمي بعمل له صبغة تاريخية، ولجنة عمر هذه مكونة من كل من:

١- جبير بن مطعم بن عدي القرشي، وهو أحد مشاهير علماء الأنساب في عصره، يوصف بأنه أنسب قریش لقریش والعرب قاطبة، أسلم قبل فتح مكة، وتوفي سنة ٥٩هـ/٦٧٩م^(١٦).

٢- عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي، أسلم قبل صلح الحديبية، وهو من العارفين بالأنساب والأخبار، كان له حلقة في المسجد النبوي يروي فيها أيام للعرب وأخبار قریش، ويسأله الناس عن الأنساب، توفي سنة ٦٠هـ/٦٨٠م^(١٧).

٣- مخزومة بن نوفل الزهري القرشي، وهو من المعمرين المخضرمين ولد قبل الهجرة بنحو ستين عاماً وأسلم بعد فتح مكة، وكان عارفاً بالأنساب ومن رواة الشعر، قال عنه مصعب الزبيري كان له سيرة وعلم وكان يؤخذ عنه النسب^(١٨)، توفي سنة ٥٤هـ/٦٧٤م^(١٩).

كما كلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجنة أخرى من العارفين بأخبار مكة وجغرافيتها بوضع علامات (أنصاب) لحدود الحرم، وهذه اللجنة تضم إلى جانب مخزومة بن نوفل الزهري كلاً من:

حويطب بن عبد العزى بن قيس القرشي، وهو من المعمرين المخضرمين، أسلم بمكة بعد الفتح، ثم انتقل إلى المدينة، وتوفي بها سنة ٥٣هـ/٦٧٢م، ويقال أن عمره بلغ مائة وعشرين عاماً، وكان من أبرز العارفين بالشعر والأخبار والأنساب^(٢٠).

والمطلب بن أبي وداعة السهمي القرشي، وهو أيضاً من المهتمين بأخبار مكة في الجاهلية والإسلام والعارفين بمعالمها وحدودها^(٢١)، وقد استعان به عمر بن الخطاب أيضاً في تحديد موضع مقام إبراهيم في المسجد الحرام بعد أن جرفه السيل^(٢٢).

ولابد من التأكيد هنا على أن المشاركين في لجنتي عمر لم يقتصر عملهم على ما كلفهم به الخليفة، بل الأهم من هذا أنهم كانوا مع آخرين مثل أبي الجهم بن حذيفة العدوي (ت ٧٠هـ/٦٩٠)^(٢٣)، وحكيم بن خويلد الأسدي المكي (ت ٥٤هـ/٦٧٣م)^(٢٤)، يروون الأخبار والأشعار والأنساب وبخاصة ما يتصل بالحجاز باعتباره موطنهم وهم أعرف الناس به. وهؤلاء يعدون النواة الأولى للاهتمام بالتاريخ المحلي في الحجاز، ونشر المادة العلمية المتصلة به، ويبدو أنهم تقتصروا

على الرواية الشفهية فلم نجد من أشار إلى أن لأي منهم أثراً مكتوباً، غير أن أثرهم ظاهر في المؤلفات التي ظهرت بعد ذلك في تاريخ مكة والمدينة من خلال الروايات التي نقلت عنهم^(٢٥).

ولم تقتصر جهود عمر بن الخطاب رضي الله عنه واهتماماته التاريخية على ما ذكر بل إن أقدم خبر عن جمع الشعر في الإسلام، حفظاً له من النسيان، يرجع إلى عهد عمر بن الخطاب، حين كتب إلى الصحابي الجليل المغيرة بن شعبة (ت ٥٠هـ/٦٧٠) يطلب منه أن يسأل الشعراء عما نظموه بعد ظهور الإسلام ويؤونه^(٢٦)، كما ورد أن عمر كلف سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما بأن يتتبع شعر من بقي على قيد الحياة من شعراء الجاهلية^(٢٧)، ويشير أبو الفرج الأصفهاني إلى كتاب ألف في عهد عمر بن الخطاب يضم أشعار الأنصار^(٢٨).

ومن المؤلفات المتقدمة التي وردت إشارة إليها في ثنايا المصادر، ما رواه الأزرقى من أن وهب بن منبه (ت ١١٠هـ/٧٢٨م) ذكر أنه اطلع على كتاب من الكتب الأولى فيه أخبار الكعبة^(٢٩)، ولا نعلم هل هذا الكتاب دون بعد ظهور الإسلام أم قبل ذلك، وعلى أي حال فهو يدل على وجود اهتمام مبكر بتاريخ الحجاز وبخاصة الكعبة والبيت الحرام.

ومن المؤلفات التي ظهرت في النصف الأول من القرن الأول الهجري كتاب في مثالب العرب ألفه زياد بن أبيه (ت ٥٣هـ/٦٧٣م) ليكون سلاحاً في يد أبنائه تجاه من يعيرهم بنسبهم، وهذا الكتاب كان متداولاً في القرن الثاني الهجري، ويعد أول كتاب عرف في هذا الباب^(٣٠).

وقد أشار ابن سعد أكثر من مرة إلى مراجعته لكتاب ((نسب الأنصار))^(٣١)، ولم يذكر مؤلفه ولا زمن تأليفه، ولعله ألف في القرن الأول الهجري.

وكان ((كتاب قریش)) و((كتاب تقيف)) من الكتب المتداولة في العصر الأموي، ولا يتوافر لدينا معلومات أيضاً عن هذين الكتابين، ويبدو أنهما يضمنان لشعار القبيلتين وما يتصل بهما من أخبار، يدل على ذلك ما رواه حماد الراوية من أن الخليفة الأموي الوليد بن يزيد (١٢٥-١٢٦هـ / ٧٤٣-٧٤٤م) أرسل في طلبه، فظن حماد أن الخليفة سوف يسأله عن شعراء قبيلته (قریش) لو تقيف التي تربطها لواء قرابة وجوار بقریش، فنظر حماد في ((كتاب قریش)) و((كتاب تقيف))، لكن الخليفة سأله عن أشعار قبيلة (بلي) (٣٧).

وقد ذكر حماد الراوية أيضاً أن من لوائل الكتب التي وقعت في يده ونفعته للاهتمام بجمع الشعر وروايته كتاباً يضم شعر الأنصار (٣٨)، ولعله الكتاب نفسه الذي جُمع في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وكان لحبر الأمة وترجمان القرآن عبدالله بن عباس رضي الله عنه (ت ٦٨هـ / ٦٨٧م) أثر كبير في إثراء المعارف التاريخية في الحجاز بعامة، ومكة بخاصة، بعد استقراره فيها، فقد كان من المهتمين بالتاريخ وبخاصة تاريخ مكة والكعبة (٣٩)، ويكفي أن نشير هنا إلى نص ذكره ابن سعد جاء فيه أن ابن عباس: ((كان يجلس يوماً ما يذكر فيه إلا الفقه، ويوماً التأويل، ويوماً المغازي، ويوماً الشعر، ويوماً أيام العرب)) (٤٠) وما يهمنا هنا أن المعارف التاريخية ممثلة في المغازي وأيام العرب حظيت بالنصيب الأوفر فقد خصص لها ابن عباس يومين، مخصص لكل من العلوم الأخرى يوماً واحداً.

ويؤكد ما سبق قول إبراهيم بن عكرمة تلميذ ابن عباس: ((كنت آتي ابن عباس لنا وحيي ابن يعلى، وسعيد بن جببر، كنت أسأله عن النسب، ويسأله حيي عن أيام العرب، ويسأله سعيد عن الفتيا والتأويل)) (٤١)، وهذا يدل على أن المعارف

التاريخية كانت تحظى باهتمام وعناية كبيرة في الحياة العلمية في الحجاز في القرن الأول من الهجري.

وقد خلف ابن عباس مدونات كثيرة جداً؛ يدل على ذلك أن ما كان لدى كريب مولى ابن عباس وتلميذه من صحف ابن عباس المكتوبة تبلغ حمل بعير (٣٧). ومكانة ابن عباس في الرواية التاريخية وأثره في إثراء المعارف التاريخية يتضح من خلال كثرة ما رواه عنه المؤرخون، فقد روى عنه الفاكهي في القسم الذي وصلنا من كتاب أخبار مكة في (٣٤٥) موضعاً (٣٨)، وروى عنه الطبري في (٢٨٦) موضعاً (٣٩).

ويؤكد ما أشرنا إليه من اهتمام جيل الصحابة رضي الله عنهم وجيل التابعين بالمعارف التاريخية قول المؤرخ أبي شامة: ((ولم يزل الصحابة والتابعون من بعدهم يتفاوضون في حديث من مضى، ويتذكرون ما سبقهم من الأخبار وانقضى، ويتطلبون الآثار والأخبار، وذلك بين من أفعالهم لمن اطلع على أحوالهم)) (٤٠).

ومن أهم فروع المعارف التاريخية التي حظيت باهتمام كبير في الحجاز خلال القرن الأول الهجري، السيرة النبوية، فقد كان لها منزلة سامية ومكانة عالية في نفوس الصحابة رضي الله عنهم، وكانوا يحرصون أشد الحرص على أن يعلموها لأبنائهم، يقول علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ((كنا نعلم مغازي النبي ﷺ كما نعلم السورة من القرآن)) (٤١).

وتشير المصادر إلى وجود مدونات في السيرة ظهرت في الحجاز في وقت مبكر، فسهل بن أبي خيثمة المدني الأنصاري (ولد سنة ٣هـ وتوفي قبل سنة ٦٠هـ) دون كتاباً عن حياة الرسول ﷺ ومغازيه تداوله أحفاده من بعده، وقد اطلع

للقاضي على هذا الكتاب ونقل منه^(٤٢)، وسعيد بن سعد ابن عبادة الأنصاري وهو من صغار الصحابة كتب شيئاً عن حياة الرسول ﷺ^(٤٣).

وفي الربع الأخير من القرن الأول الهجري توسع الاهتمام بالسيرة النبوية كثيراً وبخاصة في إقليم الحجاز الذي كانت له الريادة والسبق في هذا الميدان، وقد برز في هذه الفترة، عروة بن الزبير (ت ٩٤هـ/٧١٢م) وهو محدث فقيه مؤرخ يعد أحد فقهاء المدينة السبعة، ويذكر بعض الباحثين أنه أول من صنف كتاباً كبيراً في المغازي وأن كتابه كان معروفاً ومتداولاً^(٤٤). ومن أسهم في تدوين السيرة أيضاً في تلك الفترة لَبَّان بن عثمان بن عفان (ت ١٠٥هـ/٧٢٣م)^(٤٥)، وسعيد ابن المسيب المخزومي (ت ٩٤هـ/٧١٢م)^(٤٦).

وليس من أغراض هذا البحث الإقاضة في الحديث عن نشأة السيرة النبوية في الحجاز وتطورها، وإنما أشرنا إليها باعتبارها أهم محاور الاهتمام بالمعارف التاريخية في الحجاز في القرن الأول الهجري من ناحية، ومن ناحية أخرى لصلتها الوثيقة بالتاريخ المحلي للحجاز، وبخاصة في فترة البحث؛ فالمؤلفات في السيرة تعد من أهم مصادر المؤلفات في تاريخ مكة المكرمة والمدينة المنورة، والعكس صحيح أيضاً. ولذلك نجد من يكتبون عن مصادر السيرة النبوية يدرجون المؤلفات المتخصصة في تاريخ المدينتين المقدستين باعتبارهما أحد أنواع مصادر السيرة^(٤٧).

ومن خلال العرض السابق يتضح أن المعارف التاريخية التي حظيت بالاهتمام في الحجاز خلال القرن الأول الهجري هي السيرة والمغازي، والأنساب وأخبار القبائل، وأيام العرب. ولعل المراد بها أخبار حروب الجاهلية. ولا نجد خلال هذه الفترة ما يدل على ظهور اهتمام مباشر بالتاريخ المحلي، يستثنى من ذلك ما ورد من إشارات إلى وجود اهتمام وعناية بما يتصل بمعرفة تاريخ الكعبة

والبيت الحرام، ولكن لم يرد ما يفيد أنه قد نُوِّن شيء مستقل في هذا الأمر. ورغم ذلك يمكن القول بأن المادة العلمية المتعلقة بكثير من جوانب التاريخ المحلي، وبخاصة تاريخ مكة المكرمة والمدينة المنورة، كانت متوافرة من خلال الجوانب التي حظيت بالاهتمام، وبخاصة السيرة والأنساب وأخبار القبائل.

مشكلة الرواية الشفهية والتدوين في تاريخ العلوم عند المسلمين:

قبل أن نختم الحديث عن المعارف التاريخية في الحجاز في القرن الأول الهجري وننتقل إلى القرن الثاني يحسن أن نشير إلى قضية مهمة لها ارتباط وثيق بنشأة العلوم عند المسلمين ومنها علم التاريخ، وهذه القضية تتمثل في الوهم العلمي الشائع الذي يذهب إلى أن السنة النبوية والعلوم الإسلامية الأخرى، ومنها التاريخ، إنما كانت تروى وتتداول مشافهة وأنها بقيت كذلك نحو مائة وخمسين عاماً لم تكتب ولم تدون حتى أواسط القرن الثاني^(٤٨).

ولقد انتشر هذا الوهم وبخاصة في دراسات المستشرقين حتى كاد أن يغطي على الحقيقة في فترة من الفترات، وأصبح لدى بعضهم أشبه بالمسلّمات^(٤٩)، ورغم أنه قد تصدى لهذا الوهم عدد من الباحثين وقدموا دراسات عميقة وأصيلة فندت هذا الوهم بالبراهين القاطعة والحجج الدامغة^(٥٠)، إلا أنه لازال يتردد في بعض المؤلفات^(٥١).

وإن المرء ليعجب حين يرى الإصرار على هذا الوهم، والتمسك المريب بهذا الزعم مع وضوح الدلالة على بطلانه، فالاهتمام بالكتابة والتدوين بدأ منذ ظهور الإسلام، وكان عند الرسول ﷺ زهاء خمسين من الكتاب لكتابة الوحي والرسائل ونحوها^(٥٢).

وقد أثبتت الدراسات العلمية أن عدداً من الصحابة رضي الله عنهم كتبوا

للحديث في حياة الرسول P، فصحيفة علي بن أبي طالب، وصحيفة عبد الله بن عمرو بن العاص، وصحيفة سعد ابن عبادة الأنصاري، وصحيفة عمرو بن حزم الأنصاري، كلها دونت في حياة للرسول P^(٩٣).

ودون صحابة أجراء آخرون حديث رسول الله P بعد وفاته في صحائف منها على سبيل المثال: صحيفة جابر بن عبد الله، وصحيفة سمرة بن جندب، وكان ابن عباس ممن دون أشياء كثيرة من أحاديث رسول الله P ولخبره^(٩٤).

هذه كلها صحائف دونها الصحابة في وقت مبكر، بعضها كما أشرنا كان قبل وفاة للرسول P، ثم جاء جيل التابعين وكان اهتمامهم بتدوين الحديث أوسع وأشمل، فدونا الكثير ومنهم: همام بن منبه، وسعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وسعيد بن جبير، والحصن البصري، وعطاء بن أبي رباح وغيرهم كثير^(٩٥).

كل هؤلاء وغيرهم دونوا صحفاً في الحديث وفي غيره، وقد أشرنا في الصفحات السابقة عند الحديث عن المعارف التاريخية في الحجاز في القرن الأول الهجري إلى ظهور مدونات في السيرة، وفي الأنساب، وفي أخبار القبائل وأشعارها، وفي المثالب، بعضها دون في عهد عمر بن الخطاب وبعضها ظهر قبل انصرام النصف الأول من القرن الأول الهجري، فكيف بعد هذا يأتي من يقول إن التدوين عند المسلمين لم يبدأ إلا في منتصف القرن الثاني، وإن معارفهم كانت تنقل مشافة ولا أثر للتدوين فيها قبل ذلك.

وإذا كان هذا الزعم قد استغل بسوء نية من قبل البعض للقدح في سنة المصطفى P، والتشكيك في صحة المعلومات التاريخية الواردة عن عصر الرسول P، وعصر الخلفاء الراشدين، وتاريخ المسلمين في القرن الأول الهجري، فليس كل من قال بهذا الأمر كان يعرف الحقيقة ويعتمد الاقتراء، بل يبدو أن

الوقوع في هذا الوهم كان في أول الأمر نتيجة أمور منها:

١- عدم المعرفة من قبل بعض المستشرقين بدلالة المصطلحات (الألفاظ) المستخدمة في رواية الحديث والأخبار ضمن سلاسل الإسناد عند علماء المسلمين في القرون الأولى، فظن هؤلاء أن كل رواية أو خبر يسبق بحدثنا، أو أخبرنا، أو أنبأنا، أو حدثت، وأخبرت، فهو خبر نقل عن رواية شفوية بحته ليس لها أصل مكتوب، وهذا غير صحيح.

فمن يراجع ما ذكره علماء الحديث عن طرق الأداء والتحمل (نقل الحديث أو الخبر من الشيخ إلى التلميذ) وهي: السماع، والعرض (أو القراءة)، والإجازة، والمناولة، والمكاتبة، والإعلام، والوصية، والوجادة^(٥٦). يجد أنها جميعاً، ماعدا الطريقة الأولى (السماع) تعتمد اعتماداً كلياً على مواد مكتوبة، وحتى السماع كان يتم في أحيان كثيرة عن طريق قراءة الشيخ في صحف دونها من قبل، وقد يملئ الشيخ على طلابه من حفظه، ولكن هذا كان قليلاً، بدليل ما ورد من أنه إذا ألقى أحد العلماء من الذاكرة موضوعاً طويلاً، أو جعل مجلسه إملاءً من غير كتاب، مضوا من ذلك معجبين، ومن ذلك ما روي عن عامر الشعبي (ت ١٠٣هـ / ٧٢١م) حين ألقى أمام قتيبة بن مسلم كتاباً عن الفتوح دون الرجوع إلى صحف مكتوبة^(٥٧).

والخلاصة أن نقل الحديث وغيره من العلوم ومنها التاريخ كان يتم من خلال الاستعانة بمواد مكتوبة في أغلب الأحيان، وبخاصة في النصف الثاني من القرن الأول الهجري وما بعده، حيث لم يعد للاعتماد على الذاكرة فقط والرواية الشفهية إلا حيز قليل.

٢- لم يتنبه هؤلاء الباحثون إلى أن المتلقي (الطالب) كان يدون ما يسمعه

من الشيخ، أي أن المعلومات كانت تتقل اعتماداً أو بمساعدة مدونات مكتوبة، ويتلقاها الطالب سماعاً ولكنه يدونها مباشرة في صحف وسجلات في مجلس الشيخ نفسه، لتساعده تلك المدونات في عدم نسيان تلك المعلومات أو الخلط بينها، والرجوع إليها عند الحاجة، فالكتابة موجودة في عمليتي الأداء والتلقي معاً.

٣- لم يفرق من قال بتأخر التكوين بين أمور ثلاثة هي:

أ- التكوين الشخصي الذي كان يقوم به الأستاذ والطالب بفرض مساعدة الذاكرة، وخشية النسيان، أو تداخل المعلومات، وهذا التكوين هو الذي كانت تقوم عليه وبه عمليتا التلقي والأداء - كما أشرنا - اللتان كانتا عماد نقل العلم في ذلك الزمان، وكان موجوداً منذ عصر الرسول P.

ب- التكوين الرسمي، الذي تم في مطلع القرن الثاني بأمر من الخليفة بفرض جمع الحديث المتفرق عند العلماء في صحف موحدة، خشية ضياع شيء منه بموت العلماء، وسوف نشير إليه فيما بعد عند الحديث عن مراحل التكوين.

ج- التصنيف وهو ترتيب المعلومات في فصول وأبواب حسب الموضوعات وظهورها في مؤلفات متخصصة، وهو مرحلة متقدمة في التكوين بدأت في الربع الثاني من القرن الثاني الهجري، وسوف نشير إليها أيضاً في مراحل التكوين.

مراحل التكوين:

نشأة التكوين التاريخي عند المسلمين مرت بعدة مراحل، وهي تتوافق إلى حد كبير مع تكوين علوم أخرى، يأتي في مقدمتها علم الحديث الذي كان محط غاية المسلمين في أول الأمر، ذلك أن تلك العلوم كانت نشأتها عند المسلمين مترابطة ومتكاملة، فكان تدوينها كذلك.

ومن خلال استقراء تطور المعارف التاريخية، وما ورد عن العلوم الأخرى، وبخاصة علوم الحديث، يمكن أن نقسم هذه المراحل موضوعياً وزمنياً إلى أربع مراحل هي:

المرحلة الأولى:

وهي مرحلة التكوين الأولي مع غلبة الرواية الشفهية في تداول المعارف ومنها المعارف التاريخية، وهي تشغل زمنياً النصف الأول من القرن الأول الهجري، في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وعصر جيل الصحابة الأولين، ويتسم التكوين في هذه المرحلة بالطابع الشخصي بالنسبة للهدف منه، فهو يتم لمساعدة الذاكرة خشية نسيان للكاتب لشيء مما سمعه، أو خشية تداخل المعلومات في ذاكرته، ولغرض الرجوع إلى ذلك المدون عند الحاجة من قبل المدون نفسه فقط، أي أن الغرض منه ليس إطلاع الآخرين على تلك الصحف والنقل منها مباشرة، فهذا الأمر لم يكن مقبولاً في منهج نقل المعارف في ذلك الزمان.

هذا بالنسبة للهدف، أما المنهج فيلاحظ أن التكوين في هذه المرحلة يتسم بعدم وحدة الموضوع وتداخل المعارف والعلوم في صحائف من يقوم بالتدوين، هذا في الأغلب الأعم وإذا وجدت حالات تخرج عن هذا فهي حالات قليلة لا تؤثر في السياق العام.

ومما يميز هذه المرحلة أيضاً أن المدونين كانت مصارهم أما المشاهدة والمشاركة المباشرة، أو ما يسمونه من روايات شفوية من معاصرين وشهود عيان، وقد استفادوا أيضاً من بعض المولد المكتوبة وبخاصة الوثائق مثل رسائل الرسول p ، ومعاهداته، ورسائل الخلفاء الراشدين إلى ولاة الأقاليم وغيرها.

المرحلة الثانية.

وهي مرحلة التوسع في التكوين الشخصي. وتزايد المواد المكتوبة، واتسع موضوعات المذونات، وتشغل رميا النصف الثاني من القرن الأول الهجري. أي عصر الصحابة المتأخرين والتابعين. وهي في الجملة تشبه المرحلة الأولى في الهدف من التكوين فلم يخرج في الغالب عن نطاق التكوين الشخصي، كما أنه لم يختلف كثيراً في المنهج سوى أنه توسع كما بسبب كثرة المسلمين، وانتشار التعنيد. وزيادة الاهتمام من قبل التابعين، وممن حلوا في الإسلام من غير العرب. نعرفه أحاديث الرسول ﷺ وسيرته. وأخبار صحابته. وتاريخ الإسلام في أول نشأته وتوسع نوعاً بشموله معارف كثيرة، دينية، وتاريخية. وأدبية، ولغوية وغيرها.

ويلاحظ بالنسبة للمعارف التاريخية في هذه المرحلة اتساع الاهتمام بالسيرة النبوية والفتوح، والأنساب وأخبار القبائل وأشعارها، كما يلاحظ أن المعارف عند المسلمين ومنها المعارف التاريخية وبخاصة السيرة النبوية أحدث تحول من المعرفة الشعبية إلى المعرفة المكتوبة.

المرحلة الثالثة

وهي تشغل رميا الربع الأول من القرن الثاني الهجري (١٠٠هـ - ١٢٥هـ)، وهذه المرحلة يمكن أن يطلق عليها مرحلة التكوين الرسمي. وذلك حين أمر الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز رحمه الله، بجمع حديث رسول الله وسننه خشية ضياع شيء منها بتفادم الزمن ووفاة العلماء. فقد كتب عمر بن عبد العزيز إلى ولادة الأقاليم والعلماء في الأفاق يطلب منهم جمع حديث رسول الله وكتابه^(١٥٩) وكان ممن كتب إليه بهذا الأمر فاصي المدينة النبوية وأولياها الفقيه الحافظ أبو بكر بن محمد بن حرم الأنصاري (ت ١١٧هـ / ٧٣٤م). وجاء في كتابه إليه

((انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه، فأبني خفت دروس العلم وذهاب العلماء))^(٩٩)، وقد بادر ابن حزم بالاستجابة لأمر الخليفة وشرع في جمع الحديث ودون منه شيئاً كثيراً يقع في عدد من الكتب^(١٠٠).

وفي الوقت نفسه كلف عمر بن عبد العزيز عالماً آخر من أبرز علماء المدينة، وأحد أعلام مدرستها التاريخية، وهو الإمام محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (ت ١٢٤هـ/ ٧٤٢م)^(١٠١) يقول الزهري: ((أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنة فكتبناها دفتراً دفتراً، فبعث إلى كل أرض له عليها سلطان دفتراً))^(١٠٢).

لقد دون الزهري شيئاً كثيراً جداً؛ يدل على ذلك ما ورد عن تلميذه معمر بن المثنى قال: ((كنّا نرى أنا قد أكثرنا عن الزهري^(١٠٣)، حتى قتل الوليد^(١٠٤)، فإذا الدفاتر قد حملت على الدواب من خزائنه، يعني من علم الزهري))، قال الذهبي: ((يعني الكتب التي كتبت عنه لآل مروان))^(١٠٥).

ولكنه ما كتب الزهري ولأن كتابته لم تكن لغرض شخصي وهدف فردي، وإنما قام بها بأمر رسمي، الغرض منه حفظ العلم من الضياع على مستوى الأمة، لهذا كله أطلق عليه أنه أول من دون العلم^(١٠٦).

والمراد أول من دون بأمر رسمي وللغرض المشار إليه، أما التكوين بمعنى الكتابة وتقييد المعلومات في صحف خشية نسيانها فقد كان يمارس منذ عصر الرسول ﷺ أي قبل عمل الزهري بنحو قرن من الزمان.

ومما سبق يتضح جانب من الفرق بين التكوين الرسمي الذي تتميز به هذه المرحلة عن سابقتها، والتكوين الشخصي الذي كان سائداً في المرحلتين السابقتين ولا زال مستمراً أيضاً في هذه المرحلة. فالهدف في التكوين الرسمي حفظ العلوم وبخاصة الحديث النبوي للأمة خشية ضياع شيء منه بمرور الزمن وفقد العلماء.

بمعنى أن ما ينتج عن هذا التدوين سوف يصبح وثائق تحفظ العلم، ومرجعاً عاماً يستفيد منه من يرغب في ذلك العصر وفي المصور التالية، وفي المصور الذي تم التدوين فيه وفي الأمصار الأخرى التي زودت بنسخ مما تم تكوينه. أما التدوين للشخصي فالغرض منه كما سبق أن أشرنا قاصر على المدون نفسه يراجعه ليتذكر ما سمع^(١٧).

هذا من حيث الهدف. أما من حيث السعة والشمول فلا شك أن التدوين الرسمي الذي حظي باهتمام أعلى مسؤول في الدولة ورعايته، وجند له عدد من العلماء كان نتاجه أوسع وأشمل.

وإذا كان التدوين الرسمي قد ركز في أول الأمر على السنة النبوية، فأفرد الحديث في مجاميع خاصة، فإن ذلك قد دفع فيما بعد إلى اتباع المنهج نفسه في العلوم الأخرى سواء بجهود ذاتية من العلماء، أم برعاية وعناية من الدولة؛ فقد ورد أن الخليفة الأموي الوليد بن يزيد (١٢٥-١٢٦هـ) كلف من قام بجمع ديوان العرب وأشعارها وأخبارها وأنسائها ولغاتها^(١٨).

المرحلة الرابعة:

وهي مرحلة التصنيف، والمراد بالتصنيف هو ترتيب المعلومات في فصول وأبواب حسب الموضوعات، وهذه المرحلة هي نتاج وثمره للمراحل السابقة، وتعد نقلة نوعية وتطوراً مهماً في مسار حركة تدوين العلوم عند المسلمين، فقد أفرد كل علم بمؤلفات، ودخل العلم نفسه بؤبت الموضوعات.

يقول الذهبي مشيراً إلى هذه النقطة أثناء حديثه عن أحداث سنة ١٤٣هـ: ((وفي هذا العصر شرع علماء الإسلام في تدوين الحديث الشريف، والفقه، والتفسير، فصنف ابن جريج التصانيف بمكة، وصنف سعيد بن أبي عروبة وحماد

بر سلمة بالبصرة. وصنف مالك الموطأ في المدينة. وصنف ابن إسحاق (المغازي...) ثم يقول: ((وكثر تدوين العلم وتبويبه، ودونت كتب العربية واللغة. والتاريخ وأيام الناس))^(١٩).

إن التحول من مرحلة الجمع والتدوين غير المرتب إلى مرحلة التصنيف المبوب لا يمكن تحديده بشهر أو سنة، وإذا كان الذهبي قد أشار إليه في سرد أحداث سنة ١٤٣هـ فهذا لا يعني أن هذه السنة تعد سنة ((انقلابية)) أو حداً فاصلاً انتهت فيه مرحلة وبدأت أخرى، فالذهبي نفسه قال: ((وفي هذا العصر))، وفي تقديرنا أن هذا التحول حدث تدريجياً خلال الربع الثاني من القرن الثاني الهجري (١٢٥-١٥٠هـ) هذا من ناحية،

ومن ناحية أخرى فهذا التحديد لا يعني عدم ظهور مصنفات مبوبة ومرتببة قبل ذلك، بل المراد ظهور التصنيف كظاهرة عامة، وتميز العلوم في التأليف بقدر أكبر، وتفرّع بعض العلوم وظهور أنماط جديدة من المؤلفات فيها.

ويعد عالم مكة ومفتيها عبد الملك بن جريج (ت ١٥٠هـ/٧٦٧م) من أبرز رواد هذه المرحلة، وقد وصف بأنه أول من صنف الكتب^(٢٠)، كما أن إمام دار الهجرة الإمام مالك (ت ١٧٩هـ/٧٩٦م)، وإمام علوم السيرة والمغازي ابن إسحاق (ت ١٥١هـ/٧٦٧م)، كانا من أوائل من صنف الكتب أيضاً^(٢١). وبذلك يتبين سبق مدرسة الحجاز في مكة والمدينة وريادتها في هذا المجال، وهذا يضاف إلى سبق كل من الزهري وابن حزم في مجال التدوين الرسمي.

التاريخ المحلي في الحجاز خلال القرن الثاني الهجري:

بدأ القرن الثاني الهجري بخطوة مهمة في مجال تطور تدوين العلوم ممثلة في مرحلة التدوين الرسمي، وقد أشرنا إلى أن هذه الخطوة كان لها انعكاس إيجابي

كبير، ليس في علم الحديث فحسب بل في سائر العلوم، فقد توسع الاهتمام بالتدوين وتطور الهدف منه من هدف شخصي إلى الرغبة في جمع مدونات تحفظ العلم للأجيال القادمة. وفي مجال المعارف التاريخية استمر الاهتمام بالسيرة النبوية في الحجاز وتطور حتى بلغ درجة عالية من الاكتمال والتنظيم على يد المؤرخ المشهور محمد بن إسحاق المدني (ت ١٥١هـ/ ٧٦٧م) والسيرة كما أشرنا من قبل وفرت مادة علمية ثرية عن مكة والمدينة ساعدت فيما بعد في تدوين تاريخهما.

ويعد محمد بن مسلم بن شهاب الزهري من أهم الشخصيات التي برزت في الربع الأول من القرن الثاني الهجري وهو أحد أعلام مدرسة الحجاز التاريخية، وقد وصف بأنه كان ((مقماً في العلم بمغازي رسول الله P، وأخبار قريش والأنصار، رواية لأخبار الرسول P وأصحابه))^(٧٢).

وقد كتب الزهري عدداً من المؤلفات في الحديث والتفسير والتاريخ منها كتاب المغازي وكتاب مشاهد النبي، وكتاب نسب قريش، وكتاب أسنان الخلفاء^(٧٣).

وإذا كان الزهري لم يدون كتاباً مستقلاً في التاريخ المحلي للحجاز وتاريخ مكة أو المدينة، فإنه وفر مادة علمية جيدة في هذا الباب من خلال مؤلفاته ومروياته، ويتضح هذا جلياً في النقول الكثيرة عنه في المؤلفات التي ظهرت بعد ذلك في تاريخ مكة والمدينة، فقد نقل للفاكهي عن طريقه في كتاب (أخبار مكة) ٩٦ نصاً^(٧٤)، ونقل ابن شبة في (تاريخ المدينة) ٤٠ نصاً^(٧٥).

ويعد الزهري ظهر في الحجاز علماء آخرون دفعوا مسيرة الاهتمام بالمعارف المتصلة بتاريخ مكة المكرمة والمدينة المنورة خطوة أخرى، فهذا عبد الملك بن جريج عالم مكة وفقهها يولي تاريخها وأخبارها اهتماماً كبيراً، يدل على ذلك كثرة المرويات عنه في هذا الأمر، فمروياته في كتاب أخبار مكة للفاكهي بلغت

٢٥٧ نصاً^(١)، ونسنة كبيرة من مادة كتاب اخبار مكة للأررفي رويت عن طريق ابن جريج، منها روايات طويلة تبلغ عدة صفحات^(٢)، وله روايات أيضاً في تاريخ المدينة لأبى شبة^(٣)

و ابن جريج ألف كتاب (الجامع)، وكتاب (التفسير)، وكتاب (المناسك)^(٤). فله في كتاب المناسك ما يقتصر على بيان أحكام الحج والعمرة ومناسكهما، سر نحدث أيضاً عن الكعبة، وزمزم، والمشاعر المقدسة، وتاريخ الحج وأحكامه فسر الإسلام وبعده، وكل هذه الموضوعات من صميم تاريخ مكة.

وقد نهج علماء حرور عصر ابن جريج نهجه في الاهتمام بفضائل مكة والمدينة وأخبارهما وما يتصل بهما. مثل مسلم بن خالد الزنجي المكي. وسفيان بن عيينة المكي، والضحاك بن عثمان القرشي المدني. وهذا ما دفع أحد الباحثين إلى القول بأنه لا يستبعد وجود مصنفات أو رسائل في جوانب من تاريخ مكة لهؤلاء العلماء الذين ابدوا اهتماماً بتاريخها، وتردنت أسماؤهم كثيراً في أسانيد روايات الأررفي والعاكفي^(٥)

ومن الأمور التي ينحطها اندحار المسحح للمعارف التاريخية المتحصنة بالتاريخ المحلي للحجاز ما عرف بكتب القبائل، وكتب القبائل هذه ظاهرة تسعى التوقف عندها وبيان أثرها في ظهور تاريخ المدن (التاريخ المحلي) بعمامة، وفي إقليم الحجاز بخاصة.

لقد أشرب فهم سبوا إلى كتابين لهما صلة بقبائل الحجاز لم يذكر لأي منهما مؤلف محدد، وكانا متداولين في مطلع القرن الثاني الهجري، وهما ((كتاب فريش)) و ((كتاب ثقيف)) وكان عند حماد الراوية نسخة من كل منهما. راجعهما عندما طسه الخليفة الأموي الوليد بن يزيد^(٦).

وقد ذكر الأمدي في كتابه المؤلف والمختلف ستين كتاباً مشابهاً لم ينسب لياً منها إلى مؤلف أو جامع ويبدو أنها كانت غفلاً من ذلك، وقد اطلع عليها الأمدي ونقل منها^(٨٧)، وما يهمنا هنا أن عدداً من هذه الكتب يخص قبائل حجازية منها: كتاب بني هاشم، وكتاب كنانة، وكتاب خزاعة، وكتاب بني سعد، وكتاب بجيلة، وكتاب شعر هذيل، وكتاب سليم، وكتاب جهينة، وكتاب بلي، وكتاب مزينة، وكتاب بني قريظة، وكتاب بني عبدالله بن عطفان^(٨٨)، فمتى توكت هذه الكتب، وما مضمونها؟

إن المصادر التاريخية لا تمدنا بجواب يقيني على السؤال الأول، ومن المرجح أنها تعود للقرن الأول الهجري، ويرى بعض الباحثين أن أصول بعضها ربما تعود إلى ما قبل الإسلام^(٨٩)، أما الأمر المؤكد فهو أنها كانت موجودة ومتداولة في أول القرن الثاني للهجري، وقد رجع إليها واستفاد منها حماد الرويلة، ولعله وغيره من الرواة في القرن الثاني أضافوا إليها ما يناسبها من جنسها.

لما أبو عمر إسحاق بن مرار الشيباني، وهو عالم ثقة في الحديث واسع المعرفة بعلوم اللغة والأدب، روية لأشعار القبائل وأخبارها، عاش في القرن الثاني الهجري خلال الفترة (٩٠هـ - ٢٠٦هـ)، فقد دون شيئاً كثيراً جداً من أشعار القبائل وما يرتبط بها من أخبار^(٩٠)، وذكر ابن اللنديم أنه جمع أشعار نيف وثمانين قبيلة، كل قبيلة في كتاب^(٩١)، ويبدو أنه استفاد من كتب القبائل الستين.

لما عن مضمون كتب القبائل فهي تجمع بين الأدب والتاريخ، فكتاب القبيلة يضم أخبار القبيلة ومفاخرها، وشعر شعرائها، وأقوال حكمائها، وفروع أنسابها^(٩٢). إن ما يهمنا في هذا البحث هو صلة كتب القبائل هذه بالتاريخ المحلي، وأثرها في ظهوره، فمن المعلوم أن كتب الأنساب والقبائل ظهرت قبل كتب التاريخ

المحلي بفترة طويلة نسبياً، ونرى أنها ساعدت على ظهور التاريخ المحلي ومهدت له من ناحيتين:

أولاهما: توفير مادة علمية استفاد منها المؤلفون في تاريخ المدن والأقاليم فيما بعد.

لما الثانية: فتتمثل في أن الاهتمام بالأنساب وأخبار القبائل دفع إلى الاهتمام بتاريخ المدن والأقاليم، ذلك أن دافع الاهتمام بالأنساب والقبائل هو العصبية القبلية المرتبطة غالباً بالبيئة البدوية ومؤثراتها، وبما أن المجتمع الإسلامي تطور في مدارج التحضر، وحول نسبة كبيرة من العرب من نمط الحياة البدوية إلى الحضرية، وأتاح اندماجهم مع أقوام آخرين لهم سبق في مجال الحياة الحضرية، هذا إضافة إلى مساواة الإسلام بين من ينتمي إلى قبيلة عربية ومن لا ينتمي، وإحلاله الولاء للأمة محل الولاء للقبيلة، ذلك كله أدى إلى تحول الاهتمام عند كثير من العرب من القبيلة إلى المدينة، فظهرت عصبية محلية^(٨) للمدن والأمصار، واعتزلز بها، فحلت مكة محل قريش، والمدينة محل الأوس والخزرج وهكذا.

يضاف إلى ذلك بعد اجتماعي آخر، نرى أن له أثراً لا يقل أهمية في ظهور التاريخ المحلي، ذلك أن شريحة كبيرة من المجتمع الإسلامي وجهت اهتمامها إلى تاريخ المدينة أو الإقليم لأنها في الأصل لا ترتبط بالقبيلة، هذه الشريحة تتمثل في الموالى ومن دخل الإسلام من غير العرب، فهؤلاء ما لبثوا هم أو أبناؤهم أن أصبحوا عرباً في لغتهم ومسلمين في ثقافتهم وانتمائهم، وأصبح لهم قصب السبق في ميادين علمية كثيرة في المجتمع الإسلامي ومنها ميدان التاريخ، واستقر كثيرون منهم في وقت مبكر في المراكز الثقافية الإسلامية الكبيرة، ومنها مكة والمدينة وأصبح لهم فيها مكانة وشأن.

ومهما يكن الأمر فقد انصرم للنصف الأول من القرن الثاني الهجري ولم يظهر شيء من المؤلفات المتخصصة في التاريخ المحلي سواء في الحجاز أم غيره من بلاد المسلمين فيما نعلم^(٩٩)، وكانت قد بدأت قبيل ذلك التاريخ مرحلة التحول من التدوين إلى التصنيف في مسار تطور العلوم الإسلامية، وتكاثر إثر ذلك ظهور المؤلفات المتخصصة في مختلف العلوم، ثم ما لبث هذا التطور أن خطا خطوة أخرى بظهور فروع داخل العلم نفسه دونت فيها كتب متخصصة، وهنا بدأت تظهر لوائح للمؤلفات في التاريخ المحلي. وكان للحجاز نصيب السبق وفضل الريادة في ذلك، ممثلاً في عدد من المؤرخين الذين ظهوروا في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري ودونوا مؤلفات في تاريخ مكة والمدينة وهم:

١- عثمان بن عمرو بن ساج:

هو أبو ساج عثمان بن عمرو بن ساج القرشي، مولى بني أمية، أصله من بلاد الجزيرة^(١٠٠)، والمعلومات عنه في المصادر قليلة، ولا نعرف تاريخ مولده لكنه روى عن علماء ومؤرخين ماتوا في العقد الثاني من القرن الثاني الهجري منهم: وهب بن منبه المتوفى سنة ١١٠هـ وقيل ١١٤هـ، وعطاء ابن أبي رباح المكي المتوفى سنة ١١٤هـ، وحنظلة بن أبي سفيان الجمحي المكي المتوفى سنة ١٢٠هـ، وبناء عليه نقدر أن تاريخ مولده كان في حدود سنة ٩٥هـ/٧١٣م تقريباً^(١٠١).

تتلمذ ابن ساج على عدد كبير من الشيوخ وروى عنهم، وقد أحصينا من روى عنهم ابن ساج في المرويات التي أوردتها الأزرق في كتاب أخبار مكة عن طريق ابن ساج فبلغ عددهم واحداً وثلاثين شيخاً أكثرهم من أهل مكة والمدينة ومن أبرزهم إضافة إلى من ذكرنا: محمد بن مسلم بن شهاب الزهري المدني، وموسى بن عقبة المدني، وجعفر (الصادق) بن محمد بن علي بن الحسين العلوي

المدني وعثمان بن الأسود الجمحي المكي، والتمثي بن الصباح المكي، وعبد الملك بن جريج المكي، ومحمد بن إسحاق بن يسار المدني، وطلحة بن عمرو الحضرمي المكي.

ويبدو أن ابن ساج عاش في مكة فترة طويلة، يدل على ذلك كثرة شيوخه فيها، وما ورد عنه من اتصال بأهلها وسؤالهم عن تاريخها، فقد روى الأزرقى عن ابن ساج أنه لقي عجوزاً من أهل مكة شهدت احتراق الكعبة في أيام ابن الزبير فسألها عن ذلك ودون ما قالت^(١٢).

لما عن موقف علماء الجرح والتعديل من توثيق ابن ساج، فقد ذكره ابن حبان في الثقات، وقال أبو حاتم الرزى: يكتب حديثه ولا يحتج به^(١٣)، وأخرج له النسائي بعض الأحاديث، وهو في الجملة مقبول لديهم^(١٤).

لم تشر المصادر إلى وجود مؤلفات لابن ساج، وقد رجح فؤاد سزكين أن له كتاباً في أخبار مكة اعتماداً على كثرة ما روى عنه الأزرقى والفاكهى^(١٥).

وقد تتبعنا ما رواه الأزرقى عن طريق ابن ساج في كتاب أخبار مكة فبلغ (١٣٥) قطعة، بعضها نصوص طويلة تزيد على عشر صفحات، منها على سبيل المثال: خبر مهاجمة أبرهة لمكة عام الفيل^(١٦)، وأخبار الحج وطوقسه في الجاهلية^(١٧)، واحتراق الكعبة زمن ابن الزبير، وإعادة بنائها^(١٨)، ومن خلال نقول الأزرقى يلاحظ أن ابن ساج أهتم بتاريخ مكة في الجاهلية اهتماماً كبيراً فالتقول عنه في هذا الجانب كثيرة.

والنقول عن ابن ساج لا تقتصر على كتاب أخبار مكة للأزرقى فحسب، بل نقل الفاكهي عن طريقه في كتاب أخبار مكة (٤٧) خبراً^(١٩).

وقد روى الأزرقى عن ابن ساج بالسند الآتي ((حدثني جدي قال: حدثنا

سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج))^(١٠٠)، وروى عنه الفاكهي بالسند الآتي: ((حدثنا عبدالله بن عمران المخزومي، قال: حدثنا سعيد بن سالم، قال: حدثنا عثمان بن ساج))^(١٠١).

إن هذه النقول الكثيرة في عددها الكبيرة في حجمها تؤيد ما ذهب إليه سزكين من أن ابن ساج ألف كتاباً في أخبار مكة، وإذا صح هذا التقدير فهذا الكتاب يعد أول كتاب ألف في التاريخ المحلي عند المسلمين، وابن ساج يعد أول من ألف في هذا النمط من التكوين التاريخي على مستوى المؤرخين المسلمين كافة.

أما عن تلاميذ ابن ساج فإن سعيد بن سالم القداح يعد أبرزهم، وقد وصف بأنه رواية ابن ساج، ومن تلاميذه أيضاً محمد بن عبدالكريم بن حويطب القرشي، ومعتز بن سليمان التيمي^(١٠٢).

ولم تذكر المصادر تاريخ وفاة ابن ساج، وقد فؤاد سزكين وفاته بسنة ١٨٠هـ^(١٠٣)، وقرأها عبد الملك بن دهيش بسنة ١٧٠هـ^(١٠٤)، وبناء على تقدير تاريخ مولده من ناحية، وعدم رواية الأزرقي (الجد) أحمد بن محمد المتوفى سنة ٢٢٢هـ عنه مباشرة وإنما عن طريق سعيد بن سالم، مما يدل على أنه لم يدركه ولم يلتق به، لذلك كله نقرر أنه توفي في حدود سنة ١٦٥هـ/٧٨٢م.

٢- عبد العزيز بن عمران الزهري:

هو عبد العزيز بن عمران بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف الزهري القرشي المدني، المعروف بابن أبي ثابت الأعرج، ينتمي إلى أسرة من أشهر الأسر العريقة في العلم في المدينة، هي الأسرة الزهرية التي كان من أشهر علمائها المحدث والمؤرخ محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، ومحمد بن عبد العزيز بن عمر القاضي، وكان لأبناء هذه الأسرة ومنهم عبد العزيز بن عمران أثر

واضح في الحياة العلمية في المدينة، وبخاصة في مجال التاريخ. لا نعرف متى ولد عبد العزيز بن عمران، ولكن اعتماداً على تاريخ وفاته، ومن روى عنهم نقدر أنه ولد في حدود سنة ١٢٥هـ / ٧٤٣م تقريباً. ونشأ في المدينة وتلقى علومه بها في وقت كانت فيه من أبرز المراكز العلمية، وقد تتلمذ ابن عمران على عدد كبير من الشيوخ منهم: والده عمران، وعمه محمد بن عبد العزيز الذي تولى قضاء المدينة فترة، وجعفر (الصادق) بن محمد بن علي بن الحسين العلوي، ومحمد بن عبد الله بن مسلم الزهري، والزيبر بن موسى المكي، وعبد الله بن جعفر المخزومي، وغيرهم كثير^(١٠٥).

زار بغداد في عهد الرشيد واتصل برجال الدولة وحظي بتقديرهم وعلى رأسهم يحيى بن خالد البرمكي الذي وصله بأموال كثيرة، وكان ابن عمران كريماً سخياً، له وجاهة ومكانة في المدينة^(١٠٦).

ترجم له عدد من علماء الجرح والتعديل، لكنهم اتفقوا على تضعيفه، ووصفوه بأنه صاحب أشعار وأنساب وأخبار، وأنه ليس بثقة في رواية الحديث النبوي^(١٠٧).

ألف ابن عمران كتاب ((الأحلاف))^(١٠٨) وهو مفقود، ويبدو أنه يتعلق بأخبار القبائل والعلاقات بينها قبل الإسلام، ودون كتباً أخرى لكنها احترقت في حياته^(١٠٩).

له اهتمام كبير جداً بتاريخ الحجاز وأخباره، وبخاصة تاريخ المدينة، يظهر هذا جلياً في كثرة ما روى عنه في هذا الجانب في المؤلفات التي ظهرت بعد ذلك في تاريخ المدينة ومكة ومنها تاريخ المدينة لابن شبة حيث نجد أنه نقل عنه في (٩٥) موضعاً^(١١٠)، وأخبار مكة للأزرقي^(١١١)، وأخبار مكة للفاكهي^(١١٢).

ويرى الشيخ حمد الجاسر - رحمه الله - أن كثرة ما نقل عنه مما يتعلق

بتاريخ المدينة ((يحمل على الجزم بأنه من أول من ألف في هذا الموضوع، إن لم يكن الأول، بحيث أصبح ما ألف معيناً استقى منه مؤرخو المدينة الذين جاءوا من بعده))^(١١٣)، ويقول أيضاً: ((أما بداية تدوين تاريخ مفصل لها فلأرى أن أقدم من عني بذلك هو عبد العزيز بن عمران الزهري المدني المعروف بابن أبي ثابت الأعرج))^(١١٤).

ومما يؤيد رأي الشيخ حمد الجاسر أن ابن عمران ألف كتباً منها كتاب ((الأحلاف))، الذي ذكره ابن النديم، ومنها مجموعة كتب أخرى احترقت في حياة ابن عمران ويرجح أن من بين كتب ابن عمران. التي احترقت أو فقدت بعد ذلك كتاباً في أخبار المدينة. وقد يكون لاحتراق هذه للكتب هو السبب في عدم ذكرها في المؤلفات التي عنت بهذا الأمر مثل كتاب الفهرست لابن النديم.

ومهما يكن الأمر فقد عوض ذلك أن ابن عمران كان له عدد من التلاميذ الذين رووا عنه أخباراً كثيرة تتعلق بتاريخ مكة والمدينة منهم: ابنه سليمان، وإبراهيم بن المنذر الحزامي، وأبو حذافة أحمد بن إسماعيل السهمي، وأبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري، وأبو غسان محمد بن يحيى الكناني المدني، وقد توفي ابن عمران في المدينة سنة ١٩٧هـ/٨١٢م^(١١٥).

٣- سعيد بن سالم القداح:

هو الإمام الفقيه المحدث أبو عثمان سعيد بن سالم القداح المكي، مولى بني نوفل بن عبد مناف بن قصي، فقيه أهل مكة ومفتيهم. لا نعرف تاريخ مولده لكنه روي عن عالم مكة عبد الملك بن جريج المتوفي سنة ١٥٠هـ أشياء كثيرة وتولى الإفتاء في مكة بعد وفاته^(١١٦)، وهذا يعني أنه عندما توفي شيخه كان على قدر كبير من العلم وفي سن تؤهله للإفتاء، وبناء عليه يقدر أنه ولد في حدود سنة

١٢٠هـ/٧٣٧م تقريباً.

تتلذ على عدد كبير من الشيوخ منهم -إضافة إلى ابن جريج- عثمان بن عمرو بن ساج، وسفيان الثوري، ويونس بن أبي إسحاق، وعلي بن صالح المكي، وإبراهيم بن يحيى الأسلمي، وشبيب بن عبد الله البجلي، والمثنى بن الصباح وغيرهم^(١١٧).

وتقه علماء الجرح والتعديل وأتوا عليه، وروى عنه عدد كبير من العلماء منهم الإمام الشافعي، وسفيان بن عيينة (وهو أكبر منه)، ومحمد بن يحيى العدني، ويحيى بن آدم (وهو من أقرانه) وغيرهم^(١١٨).

بلغ منزلة عالية من العلم، وكان له حلقة يدرس فيها في المسجد الحرام^(١١٩)، وتولى الإفتاء بمكة ووصف بأنه فقيه أهل مكة، قال الفاكهي: ((ثم هلك ابن جريج فكان مفتي مكة بعده مسلم بن خالد الزنجي، وسعيد بن سالم القداح))^(١٢٠).

توفي في أواخر القرن الثاني الهجري، يقول الذهبي: ((وفاته قريبة من وفاة ابن عيينة سنة نيف وتسعين ومائة))^(١٢١)، وابن عيينة توفي سنة ١٩٧هـ/٨١٤م.

وسعيد بن سالم روى معلومات كثيرة جداً تتعلق بتاريخ مكة، فجميع مرويات ابن ساج في كتاب أخبار مكة للأزرقي، وفي كتاب أخبار مكة للفاكهي جاءت عن طريق سعيد بن سالم، كما أنه روى معلومات عن تاريخ مكة عن طريق آخرين غير ابن ساج مثل شيخه ابن جريج، وطلحة بن عمرو المخزومي، وكثير بن كثير وغيرهم^(١٢٢).

لن كثرة المعلومات التي رواها سعيد بن سالم عن تاريخ مكة تجعلنا نرجح أن هذه المعلومات كانت مدونة لديه في كتاب، وإذا صح هذا التقدير فهو يعد من

أول من ألف في تاريخ مكة بعد شيخه عثمان بن ساج.

٤- محمد بن زباله:

هو محمد بن الحسن بن أبي الحسن المخزومي المدني، من موالى بني مخزوم^(١٢٣)، المعروف بابن زباله^(١٢٤) - بفتح اللزاي وتخفيف الباء - لا نعرف تاريخ مولده وهو من أقران ابن عمران ومعاصريه، ولعله ولد في حدود سنة ١٢٠هـ تقريباً.

نشأ ابن زباله في المدينة وتلمذ على علمائها ومنهم الإمام مالك، وذكر للمزي قائمة طويلة بأسماء من روى عنهم ابن زباله من شيوخه بلغت مائة وأربعة شيوخ منهم: أسامة بن زيد بن أسلم، وسليمان بن بلال، وإبراهيم بن قدامة الجمحي، وإبراهيم بن محمد الزهري، وسفيان بن عيينة، وعاصم بن سويد الأنصاري، والمنذر بن عبد الله الخزامي وغيرهم^(١٢٥).

كان ابن زباله مهتماً بتاريخ المدينة وأخبارها ومعرفة معالمها وأثارها، وصفه الذهبي بأنه كان أخبارياً علامة، كما وصف بأنه من أعلم الناس بالمغازي والأنساب^(١٢٦)، والمعلومات عن حياته قليلة، ولعل لموقف علماء الجرح والتعديل منه أثراً في هذا، فقد وصموه بالكذب والوضع في رواية الحديث^(١٢٧). يضاف إلى ذلك ما ورد من أن أهل المدينة جفوه بعد أن وضع كتاباً في مثالب الأنساب^(١٢٨).

ألف ابن زباله كتاب ((أخبار المدينة)) وفرغ منه في شهر صفر سنة ١٩٩هـ^(١٢٩)، وهو أول كتاب عُرف وتم تداوله في تاريخ المدينة، ويعد أول مؤلف في التاريخ المحلي يقيني الثبوت على مستوى التدوين التاريخي عند المسلمين، وصفه السخاوي بأنه مجلد ضخم^(١٣٠)، واطلع عليه السمهودي ولخصه في كتابه ((وفاء للوفاء)) وكان يملك نسخة منه^(١٣١)، ويبدو أنها احترقت ضمن

مكتبة السمهودي التي احترقت سنة ٨٨٦هـ والتي كانت تضم ٣٠٠ مجلد كما ذكر هو نفسه^(١٣٢). وهذا يعني أن الكتاب كان موجوداً حتى أواخر القرن التاسع الهجري وهو مفقود الآن.

وكتاب ابن زباله هذا له أثر عميق في المؤلفات التي كتبت في تاريخ المدينة بعده. فقد اعتمد عليه المتقدمون مثل الزبير بن بكار، ويحيى بن الحسن العلوي، ونقل عنه المطري في كتاب ((التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة)) واعتمد عليه أيضاً المراغي في كتابه ((تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة))^(١٣٣) اعتماداً كبيراً حيث نقل عنه في اثنين وتسعين موضعاً^(١٣٤). ويعد السمهودي أوسع من نقل عن ابن زباله فقد ضمن كتابه ((وفاء الوفاء)) مادة علمية كبيرة جداً نقلها عن كتاب ابن زباله، وهو بعمله هذا حفظ لنا أثراً قيماً^(١٣٥).

وأثر كتاب ابن زباله في المؤلفات التي كتبت عن تاريخ المدينة بعده لا يقتصر على إمدادها بالمادة العلمية فقط، بل نجد له أثراً واضحاً في المنهج وطبيعة الموضوعات التي تناولتها تلك المؤلفات، فابن زباله، حسب ما نقلت عنه المصادر وبخاصة السمهودي، تناول موضوعات مثل أسماء المدينة، وتاريخ إنشائها وأول من سكنها، وتاريخ استقرار اليهود فيها، وكذلك الأوس والخزرج وتوزيع بطونهم ومساكنهم، ثم فصل القول في تاريخ المدينة بعد الهجرة واتخاذها قاعدة للدولة الإسلامية وبيان فضلها وجرمها، وركز على المسجد النبوي من حيث بنائه، ومساحته، ووصفه، وتوسعاته بعد عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، هذا علاوة على حديثه المفصل عن خطط المدينة، وأسواقها، ومساجدها، وآبارها، والمعالم المحيطة بها، وهو بهذا اخترط الطريق الذي سار عليه من جاء بعده من مؤرخي المدينة^(١٣٦).

وقد نشر المستشرق فستفالد مستخرجاً من كتاب أخبار المدينة لابن زباله نقله من كتاب وفاء الوفاء للمجهودي^(١٣٧).

ولابن زباله كتاب آخر عنوانه ((أزواج النبي صلى الله عليه وسلم)) ويعد من أول المؤلفات في هذا الباب، وأصل الكتاب مفقود، وبقي منه منتخب رواه تلميذه الزبير بن بكار، وقد حقق هذا المنتخب ونشره الدكتور أكرم ضياء العمري بعنوان ((منتخب من كتاب أزواج النبي صلى الله عليه وسلم لمحمد بن الحسن بن زباله، رواية الزبير بن بكار))^(١٣٨). ولابن زباله كتاب بعنوان ((مطالب الأنساب)) ويبدو أنه في مطالب أنساب أهل المدينة بذليل أنهم جفوه بسبب هذا الكتاب^(١٣٩). وهذا الكتاب مفقود.

ولابن زباله عدد من التلاميذ رووا مؤلفاته من أبرزهم المؤرخ المشهور الزبير بن بكار الزبيري، ولبنه عبد العزيز بن محمد بن زباله، وأحمد بن صالح المصري، وزهير بن حرب، وعبد الرحمن بن عبد الملك الحزمي، وعبد الله بن أبي ميسرة المكي، وهارون بن عبد الله الحمال^(١٤٠). توفي ابن زباله في المدينة سنة ١٩٩هـ/٨١٤م.

وهكذا لم ينقض القرن الثاني الهجري إلا وقد ظهر في الحجاز مؤلفات في التاريخ المحلي. فهذا ابن ساج وابن عمران يرجح وبقرائن قوية أن للأول كتاباً في أخبار مكة، وللثاني كتاباً في أخبار المدينة، أما سعيد بن سالم القداح فيرجع أيضاً أنه دون معلومات كثيرة تتصل بتاريخ مكة، وهذا ابن زباله يدون كتاباً مهماً في تاريخ المدينة يتميز بوفرة مادته العلمية، وتنوع موضوعاته وعمق أثره في المؤلفات التي ظهرت بعده.

وبهذا حققت مدرسة الحجاز التاريخية سبقاً وريادة في هذا النمط من الكتابة

التاريخية، فحسب ما يتوافر من معلومات لم يظهر قبل هذا التاريخ أي مؤلف في التاريخ المحلي في أي إقليم من أقاليم العالم الإسلامي، ويتبين أن ما ذهب إليه بعض الباحثين من أن التاريخ المحلي عند المسلمين ظهر أول ما ظهر في بلاد الشام، أو في بلاد العراق غير صحيح^(١٤١).

التاريخ المحلي في الحجاز في القرن الثالث الهجري،

يعد القرن الثالث الهجري عصر التطور والازدهار في تدوين التاريخ المحلي في الحجاز، ففيه ظهر عدد كبير من أعلام مدرسة الحجاز التاريخية واصلوا المسيرة، ودونوا مؤلفات مهمة في تاريخ مكة والمدينة، وأكدوا سبق هذه المدرسة وريادتها في هذا النمط من أنماط التدوين التاريخي، وسوف نورد فيما يلي تعريفاً بهؤلاء المؤرخين ومؤلفاتهم في تاريخ الحجاز حسب ما يتوافر عنهم من معلومات.

١- أبو غسان محمد بن يحيى الكناني المدني:

هو أبو غسان محمد بن يحيى بن علي بن عبد الحميد بن عبيد بن غسان بن يسار الكناني المدني، ولد في المدينة في حدود سنة ١٤٠هـ/٧٥٦م ونشأ بها في وقت كانت تزخر فيه بالعلماء وعلى رأسهم الإمام مالك، كما أن أسرته كانت بيت علم وكتابة، فأبوه كان كاتباً، وجداه لأبيه ولأمه كانا كاتبين، وعماه غسان وعبد الحميد ابنا علي كانا كاتبين، لذلك وصفت أسرته بأنها: ((بيت علم وكتابة ونباهة))^(١٤٢).

تتلمذ أبو غسان على عدد من الشيوخ في مقدمتهم الإمام مالك، ووصف بأنه من أصحاب الإمام مالك^(١٤٣)، ومن شيوخه أيضاً والده، وعمه غسان بن علي، وعمه عبد الحميد بن علي، وعبد العزيز بن عمران الزهري الرلوية المؤرخ،

وحسين بن زيد بن علي العلوي، وسفيان بن عيينة، وإبراهيم بن محمد الزهري وغيرهم كثير^(١٤٤).

حظي أبو غسان بثقة علماء الجرح والتعديل فوثقه ابن حبان، والدارقطني، والنسائي، وابن أبي حاتم الرازي، وأخرج له البخاري، ووصف بأنه ((أحد التفقات المشاهير بحمل الحديث، المشهورين بعلم الأدب، ورواية السير، ومعرفة الأيام، وأحد للكتاب))^(١٤٥).

لما أبرز تلاميذ أبي غسان فيأتي في مقدمتهم عمر بن شبة النمري المؤرخ صاحب كتاب أخبار المدينة، والزيبر بن بكر العالم المؤرخ، وابن أبي غسان علي بن محمد بن يحيى الكفائي، وعبد الله بن شبيب الربيعي، وجعفر بن محمد بن شاذان، وغيرهم^(١٤٦) والمعلومات عن أبي غسان شحيحة جداً، فأبرز من ترجم له علماء الجرح والتعديل وقد اقتصروا على ذكر اسمه ونسبه، ومن روى عنهم من الشيوخ، ومن روى عنه، وأقول علماء الحديث في توثيقه. أما الجوانب الأخرى من حياته ومنها مؤلفاته فلا تتوافر لدينا معلومات عنها. غير أن الملاحظ أن عمر بن شبة روى معلومات كثيرة جداً عن أبي غسان ضمتها كتابه في تاريخ المدينة، وتعد هذه الروايات المصدر الأول الذي اعتمد عليه ابن شبة، وقد بلغ عددها في القسم الذي طبع من كتاب ابن شبة مائتين وإحدى وأربعين رواية^(١٤٧).

وقد ذكر الشيخ حمد الجاسر أن ماورد من أن ابن غسان كان كاتباً وكذلك كان أبوه وجداه وأعمامه، يستأنس به للقول : ((بأنه ليس من المستبعد أن يكون له تأليف وصل إلى ابن شبة، إذ أن الروايات الكثيرة، والتفصيل الحقيق في تحديد المواضع في المدينة، كل ذلك يحمل على القول بأنه لا يستبعد أن يكون لأبي غسان كتاب عن المدينة))^(١٤٨).

وبإضافة إلى ما ذكره الشيخ حمد الجاسر فإن هناك دلائل كثيرة تؤكد - من وجهة نظرنا - أن لأبي غسان كتاباً في تاريخ المدينة ومن ذلك:

١- وجود إشارات مباشرة وغير مباشرة في كتاب تاريخ المدينة لابن شبة تدل على أن أبا غسان كتب شيئاً في تاريخ المدينة وخططها، ومن ذلك قول ابن شبة: ((ومما وجدت في كتاب أبي غسان))^(١٤٩)، فهو هنا صرح أن لأبي غسان كتاباً لكنه لم يذكر اسمه، وهناك إشارات أخرى منها قوله: ((ومما وجدته كتب عن أبي غسان))^(١٥٠)، وقوله: ((ووجدت كتاباً كتب عنه يذكر فيه))^(١٥١).

٢- عبارات أبي غسان نفسه تدل على أنه كان يدون الأخبار والمرويات ومنها قوله: ((قال أبو غسان: وهذه نسخة كتاب صدقة علي بن أبي طالب رضي الله عنه حرفاً بحرف نسختها على نقصان هجائها، وصورة كتابها، أخذتها عن أبي، أخذها عن حسن بن زيد))^(١٥٢)، وقوله: ((وهذه نسخة كتاب صدقة سعد في نوره))^(١٥٣) حرفاً بحرف على هجائها وصورة كتابها))^(١٥٤).

لهذا كله نرى أن لأبي غسان كتاباً في تاريخ المدينة لكنه فقد، وأنه ركز في هذا الكتاب بصفة خاصة على خطط المدينة وتاريخ عمرانها ومكانها، يدل على ذلك مضمون الروايات التي نقلها ابن شبة عن أبي غسان، فمعظمها ورد في القسم الأول من كتاب ابن شبة في الموضوعات التي تناولت مساجد المدينة وعمارتها، ومنازل القبائل من الأنصار، ومنازل من وفد إليها من المهاجرين من قريش وغيرهم، وأسماء الأحياء والشوارع، والأسواق، والدور المشهورة، إضافة إلى أبنار المدينة ومزارعها ولوديتها ومقابرها. وهذا يؤكد اهتمام أبي غسان بهذه الموضوعات بصفة خاصة.

وبهذا يكون ابن عمر بن الذي أشرنا سابقاً إلى أنه يرجح أنه أول من ألف في

تاريخ المدينة، ثم تلميذه أبو غسان الذي روى عنه معظم معلوماته عن المدينة، ثم عمر بن شبة الذي اعتمد على أبي غسان، هؤلاء الثلاثة يكوّنون سلسلة متوالية ومتراصلة في تكوين تاريخ المدينة في مراحلها الأولى.

ومما يلاحظ هنا أن ابن زباله المعاصر لهؤلاء الثلاثة جميعاً وصاحب كتاب أخبار المدينة لم يدخل في هذه السلسلة، فابن زباله لم يرو عن ابن عمر، كما أن أبا غسان لم يرو شيئاً عن ابن زباله رغم أن الثلاثة كانوا يعيشون معاً في المدينة، أما ابن شبة فلم يرد لديه سوى رواية واحدة فقط عن ابن زباله^(١٥٥)، ويلمح الشيخ حمد الجاسر إلى احتمال أن يكون لهذا الأمر صلة بما ورد من أن أهل المدينة جفوا ابن زباله بسبب اتهامه بوضع حديث على الإمام مالك، وتأليفه لكتاب في مثالب الأنساب^(١٥٦).

والنقول عن أبي غسان لم تقتصر على ابن شبة، فقد نقل عنه مؤرخون آخرون، منهم: الطبري الذي نقل عنه في (٣٧) موضعاً^(١٥٧)، والحربي في كتاب ((المناسك وأماكن طرق الحج))^(١٥٨)، وأبو الفرج الأصفهاني^(١٥٩)، والفاكهي^(١٦٠)، ويحيى العلوي^(١٦١).

ولا نعرف على وجه اليقين تاريخ وفاة أبي غسان ويرجح أنه توفي في مطلع القرن الثالث الهجري في حدود سنة ٢٠١هـ/٨١٦م.

٢- محمد بن عمر الوائلي:

أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد المدني ينسب إلى جده واقد وهو من مسلمي مرو، وكان مولى لعبد الله بن بريدة الأسلمي قاضي مدينة مرو، أما أبوه عمر فقد رغب في العلم وتوجه إلى المدينة واستقر بها. وفي المدينة ولد ابنه محمد سنة ١٣٠هـ/٧٤٧م ونشأ بها وتلقى علومه فيها في وقت كانت فيه معقل علم

للحديث والسيرة^(١١٢).

كان الواقدي منذ نشأته الأولى شغوفاً بالعلم والمعرفة وبخاصة علم المغازي والسيرة وأخبارها، تتلمذ على يد عدد كبير جداً من الشيوخ من أبرزهم عالم مكة عبد الملك بن جريج، وإمام دار الهجرة الإمام مالك، وسفيان الثوري، وأبو معشر المدني، ومعمّر بن راشد، ومحمد بن عبد الله الزهري، وغيرهم كثير^(١١٣).

وإلى جانب تلقي العلم على الشيوخ اهتم الواقدي باقتناء الكتب وبذل في ذلك مالاً كثيراً، وحصل عدداً كبيراً منها، قيل إن مكتبته كانت حمل مائة وعشرين جملاً، وإنها ملء ستمائة قمطر^(١١٤)، وكان القمطر حمل رجلين^(١١٥).

اتصل الواقدي ببيحيى بن خالد البرمكي وزير الرشيد سنة ١٨٠هـ/٧٩٦م فأكرمه، وولاه: الرشيد قضاء الجانب الشرقي من بغداد وبقي في منصبه هذا حتى توفي سنة ٢٠٧هـ/٨٢٣م في عهد المأمون^(١١٦).

اختلف علماء الجرح والتعديل في توثيق الواقدي، فوثقه بعضهم وأثبوا عليه وضعفه أغلبهم وانتقدوه^(١١٧)، ويبدو أن اتساع علم الواقدي وخوضه في علوم شتى وروايته لأخبار كثيرة، وانفراده بإيراد بعضها، جعله مظنة للتهمة، هذا إلى جانب أن الإكثار يؤدي إلى الوقوع في الخطأ والزلل غالباً، يقول عنه الذهبي ((جمع فأوعى وخلط الغث بالسمين والخرز بالدر الثمين، فاطرحوه لذلك، ومع هذا فلا يستغنى عنه في المغازي وأيام الصحابة وأخبارهم))^(١١٨).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن موقف علماء الجرح والتعديل من الواقدي وتضعيفهم له شبيه بموقفهم من مؤرخين آخرين سبقت الإشارة إليهم مثل عبد العزيز بن عمر بن المدني ومحمد بن الحسن ابن زبالة، فقد وصف ابن أبي حاتم الرازي هؤلاء الثلاثة بأنهم من ضعفاء مشايخ أهل المدينة^(١١٩)، وهم جميعاً ممن

حكم عليهم أغلب علماء الجرح والتعديل بأنهم متروكو الحديث، ولكن هل يعني هذا ترك ما رووه من أخبار في السيرة والمغازي وتاريخ مكة والمدينة وغيرها، مع أنهم يعدون من الرواد الأوائل في هذه الأمور، وما نكروه يعد مصدراً من أهم المصادر الأساسية في هذه الجوانب؟

إن علماء الحديث رغم تشدهم في قبول الأحاديث واشتراطهم العدالة في سائر رجال السند، واتصال الإسناد بين الرواة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، إلا أنهم في الأخبار التاريخية أظهروا تساهلاً ومرونة، وأبدوا اهتماماً بهذه الأخبار واستقادوا منها ونقلوها في مصنفاتهم رغم حكمهم على مدونيها بالضعف الشديد في الأحاديث ورفضهم مروياتهم فيه.

فهذا الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة كان يرسل إلى ابن سعد في كل جمعة رسولاً يأخذ منه جزئين من مؤلفات الواقدي ينظر فيهما إلى الجمعة الأخرى ثم يردهما ويأخذ غيرهما^(١٧٠)، وهذا شيخ الإسلام المحدث الإمام ابن حجر العسقلاني حكم على الواقدي بأنه متروك الحديث، ومع ذلك لخص مغازيه ونقل كثيراً من رواياته وأخباره المتعلقة بالسيرة وتاريخ الصحابة رضي الله عنهم في مؤلفاته كالإصابة وفتح الباري.

ولا شك أن إهمال كل المعلومات التي ذكرها الواقدي وابن عمران وابن زبالة وأمثالهم يعد خسارة فاحشة لأهميتها وتقييمها التاريخية الكبيرة، وإذا كان من المسلم به عدم الاعتماد على ما أورده هؤلاء في الأمور التي تتعلق بالعقيدة وأحكام الشريعة، فإن من التعسف الذي لا مبرر له أن نرفض جميع الأخبار التاريخية التي أوردها بحجة أنهم متروكون في الحديث^(١٧١).

والذي يظهر من تتبع الأقال في الواقدي وأمثاله من المؤرخين قبول

رواياتهم في الأخبار والسيرة والتاريخ والاستفادة منها، ولكن لا تقدم ولا يعارض بها روايات من هو أوثق منهم.

ويعد الواقدي أحد أبرز أعلام مدرسة المدينة التاريخية ويوصف بأنه من أعلم الناس بأخبار الحجاز والسيرة^(١٧٢)، وله مؤلفات كثيرة في علوم شتى، فقد كتب في علوم القرآن، والحديث، والفقه، لكن أغلب مؤلفاته في التاريخ، وقد بلغت مؤلفاته خمسة وأربعين، منها خمسة وثلاثون في التاريخ.

أهمها: المغازي، والتاريخ الكبير، وكتاب الطبقات، وكتاب الردة، وأخبار مكة، وأمر الحبشة والفيل، وزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وحرب الأوس والخزرج، وسيرة أبي بكر، هذا إضافة إلى مجموعة كبيرة من الكتب في فتوح البلاد التي فتحها المسلمون خارج الجزيرة العربية^(١٧٣).

ويهمنا هنا إسهامه في التاريخ المحلي للحجاز ممثلاً في كتاب ((أخبار مكة))، والكتاب مفقود، لذلك يصعب التعريف به ولكن من خلال النقول عن الواقدي في المؤلفات المتخصصة في تاريخ الحجاز يتبين أنه ركز على أخبار مكة في الإسلام وشملت معلوماته عنها جوانب حضارية مثل عمارة المسجد الحرام وتوسعاته، وجوانب سياسية مثل أخبار الكورث والأحداث التي وقعت في الحجاز منذ ظهور الإسلام حتى عصره.

وقد نقل الأزرق في كتابه ((أخبار مكة)) عن الواقدي في خمسة وأربعين موضعاً^(١٧٤)، ونقل عنه الفاكهي في كتابه ((أخبار مكة)) في ستة وعشرين موضعاً^(١٧٥) ونقل عنه ابن شبة في ((تاريخ المدينة)) في ستة عشر موضعاً^(١٧٦)، ولم يصرح أي منهم باسم الكتاب الذي نقل منه بل للرواية تسند إلى الواقدي عبر سلسلة الإسناد دون تحديد اسم الكتاب وفق المنهج المتبع في ذلك العصر، ولكن من

المرجح أن الأخبار المتصلة بمكة هي مما تضمنه كتاب ((أخبار مكة)) للواقدي. هذا فضلاً عن أن اسم الواقدي يتكرر في المصادر التاريخية الأخرى؛ فقد استفاد منه ابن سعد، والبلاذري، والطبري، وابن الجوزي، والذهبي، وابن كثير وغيرهم ونقلوا عنه في عشرات المواضع، ولكن يرجح أن أغلب هذه النقول من كتبه الأخرى مثل، المغازي، والتاريخ الكبير، والسيرة، والطبقات، وفتوح البلدان^(١٧٧).

ويعد كتاب أخبار مكة للواقدي أقدم كتاب صرحت المصادر باسمه في تاريخ مكة، ويلاحظ أن الواقدي كتب رسائل في موضوعات ذات صلة بتاريخ مكة والمدينة مثل: أمر الحبشة والفيل، وحرب الأوس والخزرج، والسقيفة وبيعة أبي بكر، ووقعة الحرة^(١٧٨)، والواقدي بهذا يعد من الرواد الأوائل في تدوين التاريخ المحلي للحجاز.

٣- أحمد بن محمد الأزرقى:

هو أبو محمد^(١٧٩) أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق بن عمرو بن الحارث بن أبي ثمر الغساني المكي، يرجع نسبه إلى أسرة الغساسنة المشهورة^(١٨٠)، وأسرة الأزرقى استقرت في مكة في وقت مبكر منذ عصر النبي ﷺ ، والمعلومات عنه قليلة فتاريخ مولده غير معروف، ولكن من خلال شيوخه الذين روى عنهم، والتاريخ المرجح لوفاته، يقدر أن مولده في حدود سنة ١٥٠هـ/٧٦٧م. تلقى العلم على عدد كبير من الشيوخ من أبرزهم الإمام مالك، ومسلم بن خالد الزنجي، وسفيان بن عيينة، والفضيل بن عياض، وسعيد بن سالم القداح، وأبو غسان محمد بن يحيى الكنانى، والإمام الشافعي وهو من أقرانه^(١٨١). وثقه علماء الحديث وأثنوا عليه، وروى عنه البخاري، وابن أبي حاتم

الرازي، ومحمد بن سعد كاتب الواقدي، وعبد الله بن أحمد بن أبي ميسرة المكي، وحفيده محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقى مؤلف كتاب أخبار مكة^(١٨٧).

اختلفت المصادر في تحديد تاريخ وفاته فنذكر ابن حبان أنه توفي سنة ٢١٢هـ، وقال الرازي كان حياً سنة ٢١٧هـ، وحدد الحاكم وفاته بسنة ٢٢٢هـ^(١٨٨).

ومن خلال تتبع ما ورد في رواياته في كتاب أخبار مكة تبين لنا أنه كان حياً في سنة ٢١٩هـ وروى أخباراً وقعت في هذه السنة^(١٨٩)، وبالتالي يتأكد أن وفاته وقعت بعد هذا التاريخ، ولعلها كانت سنة ٢٢٢هـ.

ومن يطلع على كتاب أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار لحفيده أبي الوليد محمد بن عبد الله يلاحظ أن نسبة كبيرة من المعلومات (الروايات) الواردة في الكتاب رواها الحفيد محمد عن جده أحمد، وهذه الروايات تزيد في حجمها على نصف الكتاب، وفيها معلومات كثيرة وتفصيلات دقيقة، وهذا ما يحمل على الجزم بأن أبا محمد أحمد بن محمد الأزرقى دون أشياء كثيرة في تاريخ مكة وأخبارها ثم جاء من بعده حفيده فحررها ونظمها وأضاف عليها وأخرجها في الكتاب المعروف الذي وصلنا وبهذا يعد أبو محمد أحمد بن محمد الأزرقى هو واضع اللبنة الأولى لكتاب أخبار مكة، يعد من الرعيل الأول الذين اهتموا بتاريخ مكة ودونوا أخبارها.

٤- محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقى:

هو أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقى المكي، حفيد السابق ومؤلف كتاب ((أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار))، وهو من أسرة مكية مشهورة ومع ذلك المعلومات عنه قليلة ولم يترجم له أحد من المؤرخين في العصور المتقدمة، ولقد من أشار إليه ابن النديم في كتاب الفهرست واكتفى بالقول إن له

كتاب مكة وأخبارها وجبالها وأوديتها ووصفه بأنه كبير^(١٨٥)، ثم أبو سعيد السمعاني في كتاب الأنساب وهو الآخر اكتفى بالإشارة إلى كتابه أخبار مكة وقال: ((قد أحسن في تصنيف ذلك للكتاب غاية الإحسان))^(١٨٦).

وقد أشار مؤرخ مكة تقي الدين الفاسي إلى أمر إهمال الترجمة للأزرقى من قبل السابقين وتعجب من ذلك فقال: ((ولم أر من ترجمه وبني لأعجب من ذلك)) وبعد الفاسي أول من ترجم له وكان ذلك في مطلع القرن التاسع الهجري أي بعد نحو خمسة قرون على وفاته، وقال الشيخ الألباني: ((ولم نجد له ترجمة في شيء من المصادر المعروفة المطبوعة والمخطوطة إلا قول السمعاني في كتابه أخبار مكة))^(١٨٧).

وتاريخ مولد أبي الوليد الأزرقى غير معروف، ولكن من خلال دلالة بعض للمعلومات الواردة في كتابه، والتاريخ المقدر لوفاته نقرر أنه ولد في أواخر القرن الثاني الهجري في حدود سنة ١٩٥هـ/٨١١م.

لما أبرز من تتلمذ عليهم الأزرقى وروى عنهم فمن خلال أسانيد كتابه يتبين أن جده أحمد ابن محمد يأتي في مقدمتهم، ومنهم أيضاً إبراهيم بن محمد الشافعي ابن عم الإمام الشافعي، ومحمد بن يحيى بن أبي عمرو العدني المكي^(١٨٨)، وأحمد بن ميسرة المكي، ومهدي بن أبي المهدي. وروى عنه إسحاق بن أحمد الخزاعي، وإبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي.

وتاريخ وفاته غير معروف على وجه اليقين، ولكن من الثابت أنه كان حياً في سنة ٢٤٤هـ^(١٨٩)، ويرجح الفاسي أنه توفي بعد سنة ٢٤٨هـ/٨٦٣م^(١٩٠). وكتاب ((أخبار مكة)) ثابت النسبة للأزرقى وهو كتاب معروف متداول بين العلماء عبر العصور، والنقل عنه في مؤلفاتهم مستفيض ومشهور، ويعد الفاسي

أبرز من استفاد من كتاب الأزرقى، وقد أشاد به وبكتاب الفاكهى في مقدمة كتابه ((شفاء الغرام، بأخبار البلد الحرام))، فقال: ((ولالإمام الأزرقى والفاكهى فضل سبق والتحرير والتحصيل، فإن ما ذكرناه هو الأصل الذى انبنى عليه هذا الكتاب))^(١٩١)، وقال أيضاً في آخر المقدمة: ((وقد رأيت أن أنكر إسنادي في تاريخ الأزرقى لكثرة النقول منه في هذا الكتاب))^(١٩٢)، وقد رجع الفاسى في شفاء الغرام إلى الأزرقى ونقل منه في ثلاثمائة وخمسة مواضع^(١٩٣).

وقد اهتم الأزرقى في كتابه بإيراد الأخبار والأحاديث في فضل مكة والكعبة، وزمزم والمشاعر المقدسة، وتتبع بناء الكعبة عبر العصور، وكذلك المسجد الحرام وركز على خطط مكة ورباعها وما فيها من المعالم العمرانية والآثار وما حولها من لودية وجبال، واهتم بصفة خاصة بإيراد وصف تفصيلي دقيق للمسجد الحرام مع ذكر المسافات والأطوال بين معالمه الرئيسة مثل الكعبة والمقام وزمزم والصفاء والمروة وغيرها، وأيضاً المسافات بينه وبين المشاعر المقدسة في منى، وعرفات، ومزدلفة، وحدود الحرم، وما يتعلق بعمارة هذه المواقع وتجديدها.

ويلاحظ أن الأزرقى لم يتعرض لذكر الأحداث السياسية والحروب التي وقعت بمكة إلا بقدر ما يتعلق بعمارة الكعبة والمسجد الحرام، ولم يهتم بذكر الولاية على مكة، أو أمراء الحج إلا إذا كان لأحدهم مساهمة في عمارة شيء من مساجد مكة ومشاعرها، فكتابة كتاب تاريخ عمران وخطط وليس للتاريخ السياسى فيه إلا نزر يسير، وهذا يؤكد اهتمام المؤرخين المسلمين بالتاريخ الحضارى منذ وقت مبكر وعنايتهم به، خلافاً للمفهوم الشائع عند البعض من أن المؤرخين المسلمين انصب اهتمامهم على التاريخ السياسى وأهموا الجوانب الحضارية.

وإذا كان لأبى الوليد محمد بن عبد الله الأزرقى الفضل الأكبر والنصيب

الأوفر في تأليف هذا الكتاب، وإليه ينسب، فإنه في واقع الأمر قد اشترك في تأليفه عدة أشخاص؛ فالنواة الأولى للكتاب وضعها - كما أشرنا من قبل - الأزرقى (الجد) أحمد بن محمد، ثم جاء حفيده أبو الوليد محمد فأضاف إلى روايات جده أخباراً أخرى رواها عن غيره، وإن كانت قليلة، لكنه أضاف شيئاً آخر في غاية الأهمية هو وصفه الدقيق والتفصيلي للمسجد الحرام، والمشاعر المقدسة، وكذلك خطط مكة ومعالمها العمرانية والجغرافية، وهذه تمثل نسبة كبيرة ومهمة من مادة الكتاب. ثم جاء الخزاعي: أبو محمد إسحاق بن أحمد بن إسحاق بن نافع الخزاعي (ت ٣٠٨هـ) تلميذ الأزرقى، ومقرئ مكة في عصره ولحد للفتات في الرواية^(١٩٤)، فروى كتاب شيخه الأزرقى وأضاف إليه إضافات قليلة في مواضع متفرقة، لوردها بدون إسناد للأزرقى، بل يقول: قال إسحاق بن أحمد، أو قال أبو محمد الخزاعي^(١٩٥).

لما ابن أخيه: أبو الحسن محمد بن نافع بن محمد بن أحمد بن إسحاق بن نافع الخزاعي (ت ٣٥١هـ) فأضاف إلى الكتاب حاشيتين صغيرتين تتعلقان بتوسعتين للمسجد الحرام حدثتا بعد عصر الأزرق، هما: زيادة دلو الندوة، وزيادة باب إبراهيم^(١٩٦).

وإذا كان كتاب أخبار مكة للأزرقى يكتسب أهمية كبيرة لما تضمنه من معلومات قيمة عن مكة وباعتباره أول كتاب وصلنا في تاريخها، فإنه يكتسب أهمية أيضاً من ناحية أخرى، ذلك أن مؤلفه انتهج منهج المحدثين في تأليفه فالترجم بالصنعة الحديثية في إيراد الأخبار مسندة، ومن خلال سلاسل أسانيد رواياته أمكن التعرف على المهتمين بتاريخ مكة من السابقين له أمثال ابن جريج، وابن ساج، وسعيد بن سالم القداح، ولا شك أن دراسة أسانيد المؤلفات المتقدمة أمر مهم، فهي

تبيين مصادر المؤلف، وتكشف عن مؤلفين ومهتمين فقدت مدوناتهم^(١٩٧)، أو بعبارة أخرى تكشف عن مصادر وكتب فقدت، ووردت أجزاء منها في ثنايا كتب تالية، وهذا أمر في غاية الأهمية عند دراسة نشأة العلوم وتطورها، ينبغي العناية به لأن من شأنه أن يكشف عن أمور جديدة ويصحح مفاهيم سائدة.

وقد طبع كتاب أخبار مكة أول مرة بعناية المستشرق الألماني وستفيلد سنة ١٢٧٥هـ (١٨٥٨م)، ثم طبع مرة أخرى بمكة سنة ١٣٥٢هـ، وطبع بعد ذلك بمكة أيضاً بتحقيق رشدي الصالح ملخص سنة ١٣٧٢هـ (١٩٥٢م)، وأعيدت طباعة هذه الطبعة عدة مرات.

٥- الزبير بن بكار:

أبو عبد الله الزبير بن بكار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي المدني المكي، العلامة الحافظ النسابة، قاضي مكة وعالمها^(١٩٨).

ولد في المدينة سنة ١٧٢هـ/٧٨٨م ونشأ بها، وتلقى العلم على عدد كبير من الشيوخ بمكة والمدينة وغيرهما، من أبرزهم: عمه مصعب ابن عبد الله الزبيري صاحب كتاب نسب قريش، وسفيان بن عيينه، وإسحاق بن جعفر بن محمد العلوي، ومحمد بن الحسن بن زباله، وأبو غسان محمد بن يحيى الكناني، وإبراهيم بن المنذر الحزامي، وغيرهم^(١٩٩).

وصفه ياقوت الحموي بأنه: ((كان علامة نسابة أخبارياً، وعلى كتابه ((أنساب قريش)) الاعتماد في معرفة أنساب القرشيين))^(٢٠٠)، وقال الخطيب البغدادي ((كان ثقة ثبتاً عالماً بالنسب، عارفاً بأخبار المتقدمين، ومآثر الماضين))^(٢٠١).

وثقه علماء الجرح والتعديل واثنوا عليه، وانفرد أحمد بن علي السليماني بتضمينه ولم يتابعه أحد بل ردّ عليه كل من باقوت^(٢٠٢)، وابن خلكان^(٢٠٣)، والأذهبي^(٢٠٤)، والفاسي^(٢٠٥)، وابن حجر العسقلاني^(٢٠٦).

زار بغداد واتصل بمحمد بن عبدالله بن طاهر بن الحسين، وبالأمر للموفق طلحة ابن الخليفة المتوكل، وأسند إليه قضاء مكة سنة ٢٤٣هـ وبقي فيه إلى أن توفي سنة ٢٥٦هـ/٨٧٠م^(٢٠٧).

تلمذ علي يديه عدد من طلاب العلم وروى عنه علماء أجلاء منهم: ابن ماجة، وابن أبي حاتم الرززي، والبيهقي، وأبو بكر بن أبي شيبة، ومحمد بن علي الترمذي، وحفيده جعفر بن مصعب بن الزبير، ويحيى بن الحسن بن جعفر العلوي المدني وغيرهم كثير^(٢٠٨).

لّف عدداً كبيراً من الكتب في الأخبار والأشعار، وذكر له ابن النديم ثلاثة وثلاثين كتاباً، منها اثنان وعشرون في أخبار عدد من لشعراء وأشعارهم ومنهم عدد كبير من شعراء للحجاز مثل: حسان، وابنه عبد الرحمن، وعمر بن أبي ربيعة، وعبد الله بن قيس الرقيات، وأبي دعلج الجمحي. والأحوص، وابن هرمة^(٢٠٩).

ويعد كتاب نسب قریش وأخبارها من أهم مؤلفات الزبير بن بكار وقد أثنى عليه العلماء، قال عنه ابن خلكان ((جمع فيه شيئاً كثيراً، وعليه اعتماد الناس في معرفة نسب القرشيين))^(٢١٠)، وذكر للسخاوي وصف بعض من أطلع عليه بقوله: ((هو كتاب عجب لا كتاب نسب، يعني لما اشتمل عليه من المحاسن))^(٢١١) وهو يجمع بين بيان الأسماء وإيراد الأخبار، أي أنه كتاب تاريخ وأنسب، وقد أشار إلى هذا أحد معاصري الزبير حين خاطبه مشيداً بكتابه وقال: ((يا أبا عبد الله، عملت كتاباً سمّيته كتاب النسب، وهو كتاب الأخبار))^(٢١٢). ونظراً لارتباط قریش بمكة

والمدينة وبخاصة في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم والقرون الأولى فإن هذا الكتاب يضم معلومات قيمة عن تاريخ مكة والمدينة وأعلامهما^(٢١٣)، لذلك نجد أن من ألفوا في تاريخ مكة استفادوا منه كثيراً^(٢١٤).

ومن مؤلفاته أيضاً كتاب أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وهو مطبوع^(٢١٥)، وكتاب الموفقيات في الأخبار ألفه للأمير الموفق ابن المتوكل ومعظمه مفقود ولا يوجد سوى قسم صغير منه، وكتاب أخبار العرب وأيامها، وكتاب مزاج النبي p، وكتاب نوار المدينين، وكتاب الأوس والخزرج ولعله سار فيه على المنهج نفسه الذي سلكه في كتاب نسب قريش وأخبارها، وعلى أي حال فكتبه هذه كلها مفقودة.

وله أيضاً كتاب أخبار المدينة، وكتاب العقيق وأخباره، وهما في التاريخ المحلي للحجاز، وكلاهما مفقود، وكتاب أخبار المدينة أقاد فيه للزبير بن بكار من شيوخه ابن زباله، وقد رجع إلى هذا الكتاب كل من الفيروز آبادي في كتاب المغنم المطابة في معالم طابة ونقل منه فصلاً مطولاً عن مساكن القبائل في المدينة، ونقل عنه أيضاً ابن حجر العسقلاني في الإصابة^(٢١٦)، واستفاد منه أيضاً السمهودي في وفاء الوفاء^(٢١٧).

لما كتاب العقيق وأخباره، فهو يحوي تفصيلات قيمة عن هذا الولادي وما فيه من مزارع وقصور ومعالم، يدل على ذلك ما نقل عنه المؤرخون و الجغرافيون، فقد رجع إليه السمهودي وسماء معارف العقيق^(٢١٨)، ونقل منه في كتاب وفاء الوفاء وبخاصة في الفصل الذي تحدث فيه عن وادي العقيق^(٢١٩). ورجع إليه أيضاً الفيروز آبادي في مواضع كثيرة صرح في بعضها باسم الكتاب^(٢٢٠) ونسب للمعلومات إلى مؤلفه في أخرى^(٢٢١). ورجع إليه أيضاً ياقوت الحموي في معجم

للبلدان.

وعندما تحدث السخوي في كتاب الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ عن المؤلفات في تاريخ مكة ذكر اسم الزبير بن بكار إلى جانب الأزرقى والفاكهى ولم يذكر عنوان كتابه^(٢٢٢). وهذه الإشارة تحتل أحد أمرين إما أن يكون للزبير بن بكار مؤلف خاص في تاريخ مكة لكنه فقد ولم تصلنا أخباره، وإما أن يكون السخوي يقصد كتاب نسب قريش وأخبارها لارتباطه بتاريخ مكة، والسخوي سبق أن ذكر كتاب النسب هذا عندما تحدث عن كتب أنساب القرشيين وأثنى عليه^(٢٢٣).

وإذا صح الاحتمال الأول فيكون الزبير بن بكار أول من جمع بين مؤلفين أحدهما في تاريخ المدينة والآخر في تاريخ مكة، ويكون بذلك قد سبق تلميذه عمر بن شبة في هذا الأمر، بيد أن عدم ورود ذكر لهذا الكتاب عند من ترجموا للزبير بن بكار قبل السخوي يجعل هذا الاحتمال ضعيفاً.

٦- عمر بن شبة:

هو أبو زيد عمر بن شبة بن عبيدة النميمري البصري، الحافظ العلامة الإخباري الثقة، مولى بني نميم، ولد سنة ١٧٣هـ/٧٨٩م في البصرة وتوفي في سامراء سنة ٢٦٢هـ/٨٧٦م^(٢٢٤)، وتلقى العلم على عدد كبير من العلماء في العراق والحجاز منهم أبو خيثمة زهير بن حرب، وأبو الحسن المدائني، وعبد الملك بن قريب الأصمعي، وإبراهيم بن المنذر الحزامي المدني، ومصعب بن عبد الله للزبيرى المدني، ومحمد بن سلام الجمحي، وأبو غسان محمد بن يحيى الكنانى المدني^(٢٢٥).

عاش ابن شبة معظم عمره في البصرة لكنه زلزل المدينة وأقام فيها فترة أو فترات، يتضح ذلك من خلال كثرة شيوخه من المدنيين وكثرة ما روى عنهم، كما

أن دراسة كتابه ((أخبار المدينة)) تؤكد ذلك أيضاً، ففيه معلومات تفصيلية دقيقة عن معالم المدينة وخططها وأخبارها، استقاها من مصادر متعددة منها المشاهدة المباشرة، ومنها المشافهة للمعاصرين من أهل المدينة، وقد صرح بذلك مثل قوله: ((وأخبرني من أتق به من الأنصار من أهل قباء))^(٢٢٦)، وقوله: ((وقال لي غير واحد من أهل العلم من أهل البلد))^(٢٢٧)، ولهذا عده السخاوي من أهل المدينة وترجم له في كتاب التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة^(٢٢٨).

وابن شبة عالم موسوعي متعدد المواهب؛ فهو مؤرخ عالم بالسير والأخبار وأيام الناس، ومحدث حافظ، وشاعر أديب نحوي، حظي بثقة علماء الجرح والتعديل فأنثوا عليه ووثقوه^(٢٢٩). وكان له موقف محمود أثناء فترة القول بخلق القرآن، فقد تمسك بموقف أهل السنة، وعندما امتحن في مدينة سر من رأى ومثل عن هذا الأمر قال: ((القرآن كلام الله ليس بمخلوق))، فتعرض للأذى، ورمي بالكفر، ومزقت كتبه^(٢٣٠). وهذا الموقف يدل على سلامة عقيدته وضميره وتحمله للأذى في سبيل ذلك.

ولابن شبة عدد كبير من التلاميذ رروا عنه منهم: محمد بن سهل الكاتب، وابن أبي حاتم الرززي، وأبو عبد الله محمد بن ماجة، وأبو بكر بن أبي الدنيا، وأحمد بن يحيى البلائري، وغيرهم^(٢٣١).

ألف عدداً كبيراً من الكتب تناولت موضوعات متعددة في التاريخ، واللغة والنحو والأدب والشعر. وقد بلغ عدد مؤلفاته خمسة وعشرين كتاباً أغلبها في التاريخ، وبخاصة التاريخ المحلي أو تاريخ المدن فقد خصص لكل من مكة، والمدينة، والبصرة، والكوفة كتاباً في تاريخها، وهذا يدل على أنه يولي هذا النمط من الكتابة التاريخية اهتماماً خاصاً ينبع من تقدير فلسفي لأهميته، وليس مجرد

نزعة إقليمية للكتابة عن المدينة التي ينتمي إليها^(٢٣٧).

ومن مؤلفاته: كتاب مكة، وكتاب المدينة، وكتاب البصرة، وكتاب الكوفة، وأمراء مكة وأمراء المدينة، وأمراء البصرة، وأمراء الكوفة، وكتاب التاريخ، وكتاب أخبار بني نضير، وكتاب النسب، وكتاب أخبار مجنون بني عامر، وكتاب مقتل عثمان وغيرها، وجميع كتب ابن شبة فقدت باستثناء قسم من كتاب أخبار المدينة^(٢٣٨).

وبهمنا هنا مؤلفاته في التاريخ المحلي للحجاز وهي أخبار المدينة، وأخبار مكة، أما كتاب أمراء المدينة وكتاب أمراء مكة فيبدو أن كلا منهما جزء أو فصل من كتابي أخبار المدينة وأخبار مكة فصله النساخ فعذ كتاباً مستقلاً، وكتاب أخبار المدينة وصلنا قسم منه وقد حقق وطبع في أربعة مجلدات باسم ((كتاب تاريخ المدينة المنورة))^(٢٣٩). وكان الأولى الالتزام بالاسم الذي تردد في المصادر وهو ((أخبار المدينة)).

والكتاب طبع اعتماداً على نسخة مخطوطة واحدة هي ما بقي منه، والنسخة ناقصة وفيها سقط واضطراب في الترتيب^(٢٤٠)، ويبدو أن النقص والسقط في نسخة الكتاب كان قديماً، فالذهبي (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٨م) يقول: ((وصنف ابن شبة كتاباً في أخبار المدينة رأيت نصفه يقضي بإمامته))^(٢٤١).

ولبن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢/١٤٤٩م) الذي كتب بخطه نسخة من الكتاب ينكر أن للنسخة التي اعتمد عليها فيها نقص كبير^(٢٤٢)، والسمهودي مؤرخ المدينة (ت ١٥٠٦/٩١١م) الذي اطلع على نسخة من كتاب ابن شبة ونقل منها أشياء كثيرة بلغت نحو (٣٥٠) نصاً في كتاب وفاء للوفاء: أشار إلى وجود نقص في النسخة التي رجع إليها وقال في حديثه عن عمارة المسجد النبوي: ((ولم أظفر من كتابه بهذا

المحل المشتمل على ذكر المسجد، ولو ظفرت به لكان الشفاء فإنه يوضح الأمور
إيضاحاً تاماً وهو إمام ثقة^(٢٣٨).

ونسخة الكتاب المخطوطة التي وصلتنا وتم تحقيق الكتاب ونشره اعتماداً
عليها تضم -كما وصفها محققها فهم شلتوت- ثلاثة أقسام هي: الأول: يتناول حياة
الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة، وهو ناقص من أوله وآخره، مضطرب
الترتيب.

الثاني: يتناول حياة الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وتاريخ المدينة
في عهده، وهو أيضاً ناقص من أوله وآخره.

الثالث: يتناول حياة الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه وتاريخ المدينة
في عهده، وهو أيضاً ناقص من أوله وآخره، والأقسام الثلاثة كلها لا تخلو من سقط
وخرم وبياض^(٢٣٩).

ويبدو أن كتاب أخبار المدينة لابن شبة يتناول تاريخ المدينة السياسي
والحضاري منذ العصر الجاهلي حتى عصر المؤلف، ولكن أجزاء كثيرة منه فقدت،
يدل على ذلك وجود نقول عن ابن شبة تتعلق بتاريخ المدينة عند الطبري والبلاذري
وغيرهما ترجع إلى العصر الأموي والعصر العباسي، يرجح أنها من كتاب أخبار
المدينة^(٢٤٠).

وعلى أي حال فما وصلنا من الكتاب يضم معلومات قيمة عن خطط المدينة
وعمرانها ومنازل القبائل فيها، وأسواقها وأشهر دورها وقصورها، وهذه المعلومات
جلّها نقلها ابن شبة عن شيخه عالم المدينة ومؤرخها أبي غسان محمد بن يحيى
الكناني. هذا علاوة على أن الكتاب يضم معلومات مهمة عن حياة كل من عمر بن
الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما تتميز بغزارتها، وقربها الزمني من

تاريخ وقوع الأحداث قياساً بغيرها، هذا إضافة إلى ما يتصف به كاتبها من العدالة والثقة.

ومما بلغت النظر عند تتبع مصادر ابن شبة في كتاب أخبار المدينة أنه لم يستفد من كتاب أخبار المدينة لابن زباله، رغم أنه كان معاصراً له، وكثير من الموضوعات التي طرقتها هي نفسها موجودة لدى ابن زباله ومع ذلك كانت معظم نقوله عن أبي غسان ولم يرجع لابن زباله إلا في موضع واحد فقط^(٢٤١). وقد أشرنا من قبل في الحديث عن أبي غسان إلى ما ألمح إليه الشيخ حمد الجاسر في تعليل هذا الأمر.

أما كتاب أخبار مكة فهو مفقود في عصرنا هذا، والمعلومات تدل أنه كان موجوداً حتى لوآخر القرن التاسع الهجري، فقد ذكر السخاوي أن المؤرخ المكي نجم الدين بن فهد (ت ٨٨٥ هـ / ١٤٨٠ م) نسخ نسخة من هذا الكتاب تقع في مجلد وقال: ((وهو على نمط كتابي الأزرقى والفاكهى))^(٢٤٢).

واطلع عليه ابن حجر السقلاني ونقل منه في فتح الباري في عشرة مواضع، كما نقل منه أيضاً في كتاب الإصابة^(٢٤٣). ونقل منه أيضاً السهمودي في وفاء الوفاء^(٢٤٤).

إن المعلومات المتوافرة عن كتاب أخبار مكة لابن شبة لا تسمح بإعطاء صورة عن مضمونه، لكن ما ورد عند السخاوي من أنه على نمط كتابي الأزرقى والفاكهى يشير إلى أنه يركز على خطط مكة وعمرانها ومعالمها وما ورد في فضائلها. ومن ناحية أخرى إذا قترنا أن ابن شبة انتهج في كتابه عن مكة النهج نفسه في كتابه عن المدينة، فإن هذا يعني أنه أعطى حيزاً للتاريخ السياسي، ولورد معلومات عن الأحداث السياسية التي وقعت بمكة أكثر مما هو موجود لدى الأزرقى

والفاكهي.

٧- محمد بن إسحاق الفاكهي:

أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي المكي، يرجع نسبه إلى الفاكه بن عمرو بن الحارث من بني كنانة، والمعلومات عنه شحيحة جداً فهي تقتصر على ذكر اسمه ونسبه واسم كتابه والعصر الذي عاش فيه، دون تفصيل يوضع تاريخ مولده ونشأته وسيرته وأعماله وتاريخ وفاته، وقد أشار مؤرخ مكة تقي الدين النفاسي إلى هذه الحقيقة مبدياً الاستغراب من إهمال المتقدمين للترجمة له فقال: ((وأنى لأعجب من إهمال الفضلاء لترجمته فإن كتابه يدل على أنه من أهل الفضل، فاستحق الذكر، وأن يوصف بما يليق به من الفضل والعدالة، أو الجرح، وحاشاه من ذلك))^(٢٤٥).

وقد استخلص محقق كتاب أخبار مكة للفاكهي الشيخ عبد الملك بن دهيش ترجمة قيمة للفاكهي من خلال المعلومات الواردة في ثنايا الكتاب نفسه، وقدر أن تاريخ ولادته ما بين سنة ٢١٥هـ إلى سنة ٢٢٠هـ تقريباً وقد اعتمد في ذلك على تواريخ وفاة أقدم شيوخه، فقد روى الفاكهي عن سعيد بن منصور صاحب السنن المتوفى سنة ٢٢٧هـ، وروى عن إسماعيل بن عبد الله بن زرارة المتوفى سنة ٢٢٩هـ وأحمد بن جميل الأنصاري المتوفى سنة ٢٣٠هـ^(٢٤٦).

نشأ الفاكهي في مكة وتلقى العلم على علمائها، والوافدين عليها للحج والعمرة من علماء الأقطار الإسلامية، ولم يكتف بذلك بل رحل في طلب العلم إلى بغداد والكوفة وصنعاء، ومن أبرز شيوخه الإمام البخاري، ومحمد بن يحيى العدني، والزبير بن بكار، وعبد الله بن أبي ميسرة المكي، وعبد الله بن عمران المخزومي، وعبد الجبار بن العلاء العطار وغيرهم^(٢٤٧).

وكان الفاكهي من أجلاء علماء مكة ومؤرخيها، ومن أعيان رجالاتها، له منزلة ومكانة في عصره، وقد دلت على ذلك بعض الأخبار التي وردت في ثنايا كتابه، فقد كان مقرباً من أمير مكة يحضر مجالسه ويستشير في بعض الأمور، وقد روى أخباراً ولورد مراسلات بين الأمراء لا يطلع عليها إلا للخاصة^(٢٤٨).

لما تلاميذه والرواة عنه فالمعلومات عنهم قليلة لعدم وجود ترجمة وافية له، ويعد ابنه عبد الله أحد أبرز تلاميذه وهو محدث حافظ وصف بأنه مُسند مكة ومحدثها وله كتاب في الحديث^(٢٤٩) ومن تلاميذه أيضاً الإمام الحافظ محمد بن عمرو العقيلي المكي، وأبو الحسن الأنصاري، ومحمد بن صالح بن سهل^(٢٥٠).

لا نعرف على وجه التحديد سنة وفاة الفاكهي، وقد قال الفاسي: ((وما عرفت متى مات، إلا أنه كان حياً في سنة اثنتين وسبعين ومائتين، لأنه ذكر فيها قضية تتعلق بالمسجد الحرام))^(٢٥١).

وقد حدد عبد الملك بن دهيش تاريخ وفاته خلال الفترة بين سنة ٢٧٢هـ — ٢٧٩هـ وذلك بناء على قرائن تدل على وجوده سنة ٢٧٢هـ وعدم وجوده في سنة ٢٧٩هـ^(٢٥٢).

ولا يُعرف للفاكهي سوى كتاب أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، وهو كتاب من أهم الكتب التي تناولت تاريخ مكة وأخبارها وفضائلها، يتميز بالسعة والشمول ففيه معلومات عن تاريخ مكة السياسي، ومعلومات عن الجوانب الاقتصادية، والاجتماعية، والعمرانية، وقد سلك فيه مؤلفه مسلك المحدثين والتزم بالصنعة الحديثة في رواية الأخبار بالأسانيد، واعتمد على عدد كبير من الرواة واستفاد من مصادر متنوعة بعضها فقد ولم يبق منه إلا النصوص التي نقلها الفاكهي.

والكتاب يتألف من جزئين أولهما فقد وهو يمثل نصف الكتاب تقريباً، ولا نعرف مضمونه على وجه التحديد ولكن النصوص التي نقلها عنه بعض المؤرخين وعلى رأسهم الفاسي تدل على أنه اشتمل على تاريخ مكة القديم وأخبار قبائلها، والصراع بينها على الزعامة والسيادة، وبناء الكعبة والمسجد الحرام، ثم مولد الرسول μ وسيرته في مكة، ثم الأحداث المتصلة بمكة بعد ذلك مثل حروب قريش مع الرسول μ وأصحابه حتى فتح مكة، وحجة الوداع.

لما القسم الثاني من الكتاب فهو يشتمل على واحد وعشرين فصلاً تناول فيها أخبار الحجر الأسود، والمقام، وزمزم، المسجد الحرام، الصفا والمروة، وفضائل كل منها والأحكام المتعلقة بها، وفصل في بيان خطط مكة وتوزيع دورها ورباعها وحدودها وأبلاها وطرقها وأسواقها، والمشاعر المقدسة في منى وعرفات ومزدلفة، إضافة إلى أمور أخرى تتعلق بعبادات أهل مكة، ولوائل الأشياء التي حدثت بها، وذكر أخبار بعض علمائها وزهادها وقضاتها، وأمرائها، وشعرائها، وظرفاتها.

ويلاحظ أن الفاكهي توسع في الأمور الفقهية المتصلة بالمسجد الحرام والمشاعر المقدسة والعبادات والمناسك المتصلة بها والأحكام الخاصة بمكة وحرمة. وقد أشاد للفاسي بكتاب الفاكهي وفضله على كتاب الأزرقى فقال: ((وكتابه في أخبار مكة حسن جداً لكثرة ما فيه من الفوائد النفيسة، وفيه غنية عن كتاب الأزرقى، وكتاب الأزرقى لا يغني عنه، لأنه ذكر فيه أشياء كثيرة حسنة مفيدة جداً لم يذكرها الأزرقى، وأفاد في المعنى الذي ذكره الأزرقى أشياء كثيرة لم يفدها الأزرقى))^(٢٥٣).

لقد بقي كتاب الفاكهي مصدراً من أهم المصادر التي اعتمد عليها من ألفوا

في تاريخ مكة على مر الأزمان ومختلف العصور، فقد اعتمد عليه الفاسي اعتماداً كبيراً فرجع إليه في كتاب العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين في مائة وخمسة عشر موضعاً، أما في كتابه الآخر شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، فاعتمد فيه على الفاكهي بقدر أكبر لتشابه موضوعاته ومنهجه مع كتاب الفاكهي وقد أشار الفاسي إلى هذا الأمر بوضوح في مقدمة كتاب شفاء الغرام فقال: ((وللإمام الأزرقى والفاكهي فضل السبق والتحرير والتحصيل، فإن ما ذكرناه هو الأصل الذي انبنى عليه هذا الكتاب))^(٢٥٤). ورجع إليه في مائتين وثلاثين موضعاً^(٢٥٥).

ومن رجع لكتاب الفاكهي أيضاً ابن حجر العسقلاني في كتاب فتح الباري، وكتاب الإصابة، ونجم الدين بن فهد في كتاب إتحاف الوري بأخبار أم القرى، وعز الدين بن فهد في كتاب غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام وغيرهم^(٢٥٦). وقد اهتم المستشرق ومستفاد بكتاب الفاكهي ونشر منتخبات منه سنة ١٨٥٩م، ثم حقق عبد الملك بن دهيش القسم الموجود من كتاب الفاكهي كاملاً ونشره مع مقمة مهمة تعد أوسع وأشمل وأهم ما كتب عن الفاكهي وكتابته كما زود للكتاب بفهارس مفصلة، ونشر سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م.

٨- يحيى بن الحسن العلوي:

أبو الحسين يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين (الأصغر) بن علي (زين العابدين) بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ولد سنة ٢١٤هـ / ٨٢٩م ونشأ في المدينة، وهو مؤرخ عالم بالأنساب والأخبار، لقب بالنسابة^(٢٥٧)، لم يعن المتقدمون بالترجمة له، لذلك فالمعلومات عنه قليلة.

ومن خلال تتبع ما نقل عنه من روايات عند الخطيب البغدادي، والسمهودي وغيرهما، نجد أنه روى عن عدد من العلماء منهم: الزبير بن بكار الزبيري،

وإسحاق بن موسى العلوي، وعمار بن أبان، ومحمد بن يعقوب الزبيري المدني، وموسى بن سلمة، وبكر بن عبد الوهاب، ودلود بن المبارك، وعبد الله بن محمد العلوي، وعلي بن بكر الباهلي، وغسان الليثي، وإسماعيل بن يعقوب وغيرهم^(٢٥٨).

أما تلاميذ يحيى الذين رووا عنه فأبرزهم: ابنه محمد، وابنه طاهر، وحفيده الحسن بن محمد، وحفيده القاسم بن طاهر، وإبراهيم بن إسحاق الحربي، وأحمد بن محمد بن سعيد.

وأسرة يحيى بن الحسن كانت لها مكانة ومنزلة رفيعة في المدينة، فجده جعفر كان من أعيان العلويين في عصره وكان يلقب بالحجة^(٢٥٩)، وكانت نقابة العلويين في أسرته، ثم إن بني مهنا الذين تولوا إمارة المدينة بعد ذلك منذ منتصف القرن الرابع الهجري هم من أحفاد يحيى بن الحسن النسابة هذا^(٢٦٠).

ويعد يحيى من أعلام مدرسة الحجاز التاريخية، ألف في تاريخ المدينة كتاب ((أخبار المدينة))، وألف كتاباً في أنساب الطالبين يقال أنه أول كتاب جمع في أنساب آل أبي طالب، ولهذا لقب بالنسابة^(٢٦١)، وقد ورث عنه ابنه محمد، وحفيده الحسن بن محمد هذا الاهتمام، فقد ذكر السخاوي أن محمد بن يحيى له كتاب عن المدينة في مجلد لطيف، وحفيده الحسن بن محمد له كتاب في فضائل المدينة^(٢٦٢)، كما أن كلا منهما وصف بأنه عالم بالأنساب، وهذا يعني أن كلا من الجد والابن والحفيد صنف كتاباً عن المدينة، ولكن لا نعلم طبيعة الصلة بين هذه الكتب وهل اعتمد اللاحق على السابق وأضاف إليه، وما مدى تمايز المادة التي حوتها هذه الكتب الثلاثة، هذه الأسئلة لا نجد جواباً عليها لأن هذه الكتب جميعها مفقودة، والثابت أن هذه الأسرة لها باع طويل في تكوين تاريخ المدينة وأنساب الطالبين وأخبارهم.

وقد اطلع مؤرخ المدينة في القرن التاسع الهجري السهمودي على عدة نسخ من كتاب ((أخبار المدينة)) ليحيى العلوي، منها نسخة رواها ابنه طاهر بن يحيى، ويستفاد مما ذكره السهمودي أن طاهر أضاف بعض التعليقات على هذه للنسخة^(٢١٣)، ونسخة أخرى رواها حفيده الحسن بن محمد بن يحيى، وأشار السهمودي إلى أن بين النسختين بعض اختلاف حيث يوجد في إحداهما أخباراً لا توجد في الأخرى، ونسخة ثالثة لم يذكر السهمودي اسم رلوها أشار إلى أن فيها تصويراً لقبر الرسول صلى الله عليه وسلم وقبري صاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، بما يفيد أن هذا للتصوير لا يوجد في النسخ الأخرى^(٢١٤).

إن ما ذكره السهمودي يؤكد أن كتاب أخبار المدينة ليحيى بن الحسن كان موجوداً حتى لواخر القرن التاسع الهجري، وقد تكون نسخ هذا الكتاب التي كانت بحوزة السهمودي، احترقت مع كتبه التي ذكر أنها احترقت في حريق المسجد النبوي سنة ٨٨٦هـ.

وقد أثبت السهمودي على يحيى بن الحسن وعده ممن يوثق بما يرويه من أخبار وقال: ((إن ابن زباله وإن كان ضعيفاً لكنه اعتضد بموافقة يحيى له وروايته لكلامه من غير تعقيب))^(٢١٥).

وكتاب يحيى في أنساب الطالبين كان أحد أهم مصادر أبي الفرج الأصفهاني في كتابه "مقاتل الطالبين" وقد نقل منه كثيراً^(٢١٦)، ويقول فؤاد سزكين إنه يوجد من هذا الكتاب نسخة مخطوطة في مكتبة وهي رقمها ١٣٠٥^(٢١٧).
لما كتاب أخبار المدينة فهو مفقود - كما أسلفنا - ولكن بقي منه مقتطفات ونقول في عدد من المؤلفات التي كتبت بعده في تاريخ المدينة وغيرها، فقد نقل منه تلميذه إبراهيم الحربي في كتاب المناسك وأماكن طرق الحج في خمسة وعشرين

موضعاً^(٢٦٨)، ونقل عنه المراغي في كتاب تحقيق النصرة بتخليص معالم دار الهجرة في ستة وعشرين موضعاً^(٢٦٩)، أما أوسع من نقل عنه فهو مؤرخ المدينة السهمودي في كتاب وفاء الوفاء بأخبار دار هجرة المصطفى حيث نقل عنه في مائتين وعشرة مواضع^(٢٧٠).

ومن خلال تلك النقول يتضح أن كتاب أخبار المدينة ليحيى بن الحسن تطرق إلى موضوعات منها: وصول النبي ﷺ إلى المدينة ونزوله في قباء، ثم استقراره في المدينة عند بني النجار، ثم اختيار موضع المسجد وبنائه، وبيوت زوجات النبي، ووصف المسجد النبوي، والدور التي حوله، والزيادات فيه وتوسيعه في عصر الرسول ﷺ ثم في عصر الخلفاء الراشدين، ثم زيادة الوليد بن عبد الملك وما تلاها من عمارة وتوسعة، ووصف موضع قبر الرسول ﷺ وقبري صاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وبعض الوظائف المتصلة بالمسجد النبوي مثل المؤننين والحراس، وما يتعلق بإضاءة المسجد وتجميره وتنظيفه، وتصريف مياه الأمطار والسيول فيه، ووصف أبرز معالمه، ومعلومات من المساجد الأخرى في المدينة ومنها مسجد قباء، ويلاحظ أن ما ورد في هذه النقول ركز على المسجد النبوي وما يتصل به بصفة خاصة وبعض معالم المدينة دون ما حولها^(٢٧١).

وهكذا يتضح أن القرن الثالث الهجري كان عصر تطور ولزدهار في حركة التدوين التاريخي في الحجاز وبخاصة في مجال تدوين التاريخ المحلي، فقد ظهر خلاله عدد كبير من المؤرخين ودوت في كتب كثيرة عن مكة والمدينة، ولكن معظم هذه الكتب فقد، ولم يصلنا منها كاملاً سوى كتاب واحد هو كتاب ((أخبار مكة)) للأزرقي، أما كتاب ((تاريخ المدينة)) لابن شبة وكتاب ((أخبار مكة)) للفاكهي فقد وصلنا قسم منهما وفقد قسم من كل منهما يعادل نحو نصف الكتاب.

أما مؤلفات كل من ابن مساج، وابن عمران، وابن زباله، وأبي غسان،
والواقدي، والزبير بن بكار، ويحيى بن الحسن في تاريخ مكة والمدينة، وكذلك كتاب
أخبار مكة لابن شبة فقد فقدت جميعاً ولم يصلنا منها سوى مقتطفات في ثنايا
مؤلفات لاحقة.

خاتمة

بعد هذا التتبع للجنور الأولى لنشأة التاريخ المحلي في إقليم الحجاز وما يتصل بها من أمور حتى ظهور هذا النمط في الكتابة التاريخية على يد الرواد الأوائل من مؤرخي الحجاز في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، ثم تطوره ولزدهاره في القرن الثالث الهجري على يد أعلام مدرسة الحجاز التاريخية في ذلك العصر، نختم هذه الدراسة ببعض النتائج والملاحظات والتوصيات التي اسفرت عنها هذه الرحلة مع موضوع هذا البحث وأعلامه ومنها:

١- كشفت الدراسة سبق مدرسة الحجاز التاريخية وريادتها في مجال تدوين التاريخ المحلي على مستوى العالم الإسلامي، وصححت ما ذهبت إليه بعض الدراسات من أن هذا النمط من التدوين التاريخي ظهر أول ما ظهر في بلاد الشام أو في بلاد العراق.

٢- بين البحث أن مكة المكرمة كانت الجناح الثاني لمدرسة الحجاز التاريخية، وأنه ظهر فيها عدد من المؤرخين البارزين وبخاصة في التاريخ المحلي، وبناء عليه ينبغي عدم إغفالها عند الحديث عن هذه المدرسة.

٣- أكدت الدراسة وجود وعي تاريخي عند المسلمين واهتمام بالتاريخ منذ ظهور الإسلام، خلافاً لما ذهب إليه بعض الباحثين من الزعم بعدم وجود هذا الوعي خلال القرن الأول الهجري.

٤- أسهمت الدراسة في تأكيد حقيقة ممارسة المسلمين للتدوين في عملية تعليم العلوم ونقلها، وحبس الزعم القائل بأن العلوم عند المسلمين كانت تنقل مشافهة ولا أثر للتدوين فيها حتى مطلع القرن الثاني، عند بعضهم، أو حتى منتصفه عند آخرين، وبيّنت الدراسة أن التحول من الشفاهي إلى المكتوب عند

المسلمين تم في وقت أبكر بكثير مما ذهب إليه بعض الباحثين.

٥- لقد البحث اهتمام المؤرخين للمسلمين بالجوانب الحضارية (التاريخ الحضاري) منذ وقت مبكر، وأن هذا الأمر لم يكن غائباً في المدونات التاريخية الأولى وبخاصة ما يتصل بالخطط والعمران وما يرتبط بهما من وصف للمنشآت والأسواق والآبار والعيون والمزارع وغيرها، فهذه الأمور ظهرت بشكل جلي في المدونات الأولى في التاريخ المحلي في الحجاز، وهذا يؤكد عدم صحة ما ذهب إليه البعض من إهمال المؤرخين للمسلمين للجوانب الحضارية وقصر اهتمامهم على الجوانب السياسية وبخاصة في الفترة المتقدمة من تاريخ المسلمين.

٦- أكدت الدراسة ما ذهب إليه باحثون سابقون من استنتاجات تتعلق بترجيح تكوين عثمان بن ساج كتاباً في تاريخ مكة، وتدوين عبد العزيز بن عمر بن كتاباً في تاريخ المدينة.

٧- توصلت الدراسة بقرائن وأدلة أوردتها إلى أن لأبي غسان محمد بن يحيى المدني كتاباً في تاريخ المدينة اعتمد عليه ابن شبة، كما رجحت أن لسعيد بن سالم القداح المكي مدونات في تاريخ مكة استفاد منها الأزرقى والفاكهى وغيرهما.

٨- لقد البحث أهمية الاهتمام بدراسة الأسانيد والمرويات في المؤلفات الأولى التي وصلتنا، لأن من شأن هذا أن يكشف عن مدونات ومؤلفات سابقة ضاعت ولم تصلنا معلومات عنها، وبالتالي يصحح مفاهيم كثيرة عن بدايات نشأة العلوم عند المسلمين وبدايات التأليف فيها، وبدايات ظهور فروع جديدة في العلم نفسه، وقد تحقق بفضل الله شيء من هذا في هذا البحث.

٩- أبرزت الدراسة جهود مؤرخين ظهوروا في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري لم تكن جهودهم معروفة عند كثيرين بسبب ندرة المعلومات عنهم

وشهرة من جاء بعدهم، فابن ساج، وابن القداح مثلاً سبقا الأزرق في الاهتمام بتاريخ مكة، وابن عمران، وابن زباله، وأبو غسان سبقوا ابن شبة في العناية بتاريخ المدينة، لكن شهرة اللاحق ووصول كتابه إلينا حجبت جهود من سبقه، حتى أصبح البعض يظن أن من وصلتنا كتبهم هم أول من ألف في تاريخ مكة والمدينة.

١٠- تبين من خلال البحث أن المنهج الذي سار عليه المؤلفون في تاريخ مكة والمدينة فيما يتعلق بطبيعة المادة العلمية التي ضمنوها مؤلفاتهم كان متقارباً، فقد ركزوا على الجانب العمراني والخطط ووصف المنشآت وبخاصة الحرمان الشريفان، ولم يولوا الجانب السياسي اهتماماً كبيراً باستثناء كتاب تاريخ المدينة لابن شبة، كما أن جميع من ألفوا في التاريخ المحلي في الحجاز في تلك الفترة أغفلوا تخصيص جزء من مؤلفاتهم للترجمة لأعلام مكة والمدينة، وهذا أمر يلفت الانتباه، إذ أن المؤلفات التي ظهرت بعد ذلك في تاريخ مدن أخرى مثل دمشق وبغداد وواسط ركزت جل اهتمامها وخصصت معظم مادتها للترجمة لأعلام تلك المدن، ولعل الذين ألفوا في تاريخ مكة والمدينة في تلك الفترة لم يتركوا هذا الجانب إهمالاً أو عدم تقدير لقيمته، بل لكتفاء بما ورد في كتب الطبقات وبخاصة كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد الذي خصص نسبة كبيرة من مادته للصحابة والتابعين وتابعيهم في القرن الثاني ومطلع الثالث من أهل مكة والمدينة تشغل أربعة مجلدات كاملة أي أكثر من نصف الكتاب، استوعب فيها إلى حد كبير أعلام تلك الفترة في كل من مكة والمدينة.

١١- ظهر من خلال النظر في منهج مؤلفي كتب التاريخ المحلي في الحجاز خلال فترة البحث أنهم جميعاً التزموا الصنعة الحديثية في رواية الأخبار، فهم يوردون الأخبار على هيئة الأحاديث كل خبر بإسناده، وهذا يؤكد ارتباط علم

التاريخ بعلم الحديث في بداية نشأته وتأثره به في المنهج.

١٢- مما يلاحظ أيضاً فيما يتعلق بطبيعة المادة العلمية التي تضمنتها المؤلفات في تاريخ مكة والمدينة في تلك الفترة وجود مساحة واسعة ومباحث مطولة للأحكام والقضايا الفقهية، والسبب في هذا ارتباط هذه الأماكن بمناسك الحج والعمرة والزيارة وما يتصل بها من فضائل وعبادات وأحكام وخلافات فقهية، ورغبة مؤلفيها في بيان هذه الأمور، ولهذا جمعت هذه المؤلفات بين المباحث التاريخية والفقهية.

الهوامش

(١) انظر مثلاً: صالح أحمد العلي، دراسات في تطور الحركة الفكرية في صدر الإسلام، ص ١٤٥ وعبد العزيز بن راشد السنيدي، الحياة العلمية في مكة خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية العلوم الاجتماعية ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م، ص ٤٥٨ - ٤٦١.

(٢) عبد العزيز الدوري، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، ص ٦١، وشاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، ج ١ ص ١٤٩.

(٣) عبد الجبار ناجي، إسهامات مؤرخي البصرة في الكتابة التاريخية حتى القرن الرابع الهجري، ص ٩٧. فاروق فوزي، للتكوين التاريخي عند المسلمين، ص ٢٠١.

(٤) انظر مثلاً: فاروق فوزي، التكوين التاريخي عند المسلمين ص ٥٢، وشاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون ج ١ ص ١٤٩؛ وعبد العزيز الدوري، نشأة علم التاريخ عند العرب ص ٦١.

(٥) عبد العزيز الدوري، نشأة علم التاريخ عند العرب ص ١٥.

(٦) Blachere, Le probleme de Mahomet, pp.17-18.

(٧) Gibb, Studies on the civilization of Islam pp.109.

(٨) البخاري، الصحيح ج ٦ ص ٥٥٨ حديث رقم (٣٥٣٥)؛ مسلم، الصحيح ص ٩٣٩ حديث رقم (٢٢٨٦).

(٩) للمزيد عن هذا الأمر أنظر: شاكر مصطفى، التاريخ العربي ج ١ ص ٥٧-٦٤، وسالم أحمد محل، المنظور الحضاري في التكوين التاريخي عند

للعرب، ص ٤٧-٧٢.

(١٠) السمعاني، الأنساب جـ ١ ص ٩.

(١١) الترمذي، السنن جـ ٥ ص ١٤٠ وقال حديث حسن صحيح.

(١٢) فؤاد سزكين تاريخ التراث العربي، ترجمة محمود حجازي المجلد

الأول، الجزء الثاني ص ٢٩.

(١٣) السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن نّم للتاريخ، مطبوع مع كتاب علم

التاريخ عند المسلمين لروزنتال، ص ٥١٠، السيوطي، الثمار في علم التاريخ،

تحقيق إبراهيم السامرائي، بغداد ١٣٩١هـ ص ٩-١٢.

(١٤) الأزرقي، أخبار مكة، تحقيق رشدي ملحس، جـ ١ ص ٣٩، فؤاد

سزكين، تاريخ التراث العربي، المجلد الأول للقسم الثاني ص ١٩٣.

(١٥) الأزرقي، أخبار مكة جـ ١ ص ٤٠، الفاكهي، أخبار مكة، تحقيق عبد

الملك بن دهميش جـ ٢ ص ٨-٩.

(١٦) مصعب الزبيري، نسب قریش، تحقيق ليفي برفنسال، ص ٢١٠، ابن

عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب جـ ١ ص ٨٨-٨٩.

(١٧) ابن سعد، الطبقات جـ ٤ ص ٢٨-٣٠؛ الجاحظ، البيان والتبيين جـ ١

ص ٣٢٢.

(١٨) نسب قریش، ص ٣٦٢-٣٦٣.

(١٩) ابن سعد، الطبقات جـ ٣ ص ٣٩٥، مصعب للزبيري نسب قریش ص

٣٦٢-٣٦٣.

(٢٠) الجاحظ، البيان والتبيين جـ ٢ ص ٣٢٣؛ ابن حجر العسقلاني،

الإصابة جـ ٤ ص ٧٩٤.

(٢١) ابن سعد، الطبقات، ج ٥ ص ٤٥٣، ابن الأثير، أسد الغابة ج ١ ص ٣٩٨.

(٢٢) الفاكهي، أخبار مكة ج ١ ص ٤٥٦.

(٢٣) مصعب الزبيري، نسب قريش ص ٣٦٩؛ الجاحظ، البيان والتبيين ج ٢ ص ٣٢٣.

(٢٤) ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٤٤٨.

(٢٥) انظر مثلاً: الأزرق، أخبار مكة ج ١ ص ١٢٣، ١٥٩، ج ٢ ص ٢٤؛ والفاكهي، أخبار مكة ج ١ ص ٢٥٤، ٤٥٦، ج ٢ ص ١٠٩، ١٢٠، ج ٣ ص ٢٦٠، ج ٤ ص ٧٤، ٩٦. وابن شبة، تاريخ المدينة ص ٦٣١، ٦٤٤، ١٢٠٤.

(٢٦) الأصفهاني، الأغاني ج ٤ ص ١٦٤-١٦٥.

(٢٧) فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، المجلد الثاني، ج ١ ص ٣٦.

(٢٨) الأغاني ج ٤ ص ١٤٠-١٤١.

(٢٩) أخبار مكة ج ١ ص ٣٩.

(٣٠) ابن النديم، الفهرست ص ١٣١؛ فؤاد سزكين، تاريخ التراث، المجلد الأول، ج ٢ ص ٣٥-٣٦.

(٣١) الطبقات ج ٣ ص ٤٧٩، ٥١٣، ٥٤٨، ٦٢٦، ج ٥ ص ٧٤.

(٣٢) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني ج ٦ ص ٩٤.

(٣٣) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني ج ٦ ص ٨٧؛ ناصر الدين الأسد،

مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ص ١٥٧، ٥٥٨. وقد ورد في كتاب الأغاني في قصة حصول حماد على هذا الكتاب، أن حماداً كان في أول أمره

يصحب الصعاليك واللصوص ويتشطر، فسطوا ذات ليلة على منزل رجل وأخذوا منه أموالاً وأشياء كان من بينها الكتاب المشار إليه، فقرأه حماد واستحلاه وحفظه وكان سببا في انصرافه لجمع الشعر وأخبار العرب، وترك ما كان عليه.

(٣٤) فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، المجلد الأول جـ ٢ ص ١٩٣.

(٣٥) الطبقات جـ ٢ ص ٣٦٨.

(٣٦) ابن سعد، الطبقات جـ ٥ ص ٣٦٨.

(٣٧) المصدر السابق جـ ٥ ص ٢٩٣.

(٣٨) انظر فهرس الكتاب من إعداد محققه عبد الملك بن دهيش جـ ٦

ص ١٤٠-١٤١.

(٣٩) شاکر مصطفى، التاريخ العربي جـ ١ ص ١٥٠.

(٤٠) كتاب الروضتين في أخبار الدولتين، تحقيق محمد حلمي أحمد جـ ١

ص ٢.

(٤١) ابن كثير، للبدایة والنهاية جـ ٣ ص ٢٤٢.

(٤٢) ابن حجر العسقلاني، الإصابة جـ ٢ ص ٢٧٦.

(٤٣) ابن سعد، الطبقات جـ ٥ ص ٨٠-٨١.

(٤٤) الدوري، بحث في نشأة علم التاريخ ص ٢٤؛ محمد السلمي، منهج

كتابة التاريخ الإسلامي ص ٢٩٨.

(٤٥) ابن سعد، الطبقات جـ ٥ ص ١١٢.

(٤٦) ابن سعد، الطبقات جـ ٥ ص ١١٩-١٤٣؛ أبو نعيم الاصفهاني، حلية

الأولياء جـ ٢ ص ١٦١-١٧٥.

(٤٧) انظر مثلاً فاروق حمادة، مصادر السيرة النبوية وتقويمها ص ٧٧؛ و

- مهدي رزق الله أحمد، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ص ٤٠.
- (٤٨) شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون جـ ١ ص ٧٥،
- (٤٩) فولد سزكين، تاريخ التراث العربي، المجلد الثاني، جـ ٢ ص ٨، ٥، ٣.
- (٥٠) منها: دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، لمحمد مصطفى الأعظمي؛ صحائف الصحابة وتكوين السنة، لأحمد الصويان.
- (٥١) منها على سبيل المثال: إبراهيم فوزي، تدوين السنة، نشر مكتبة رياض الريس، لبنان ٢٠٠٢م.
- (٥٢) محمد مصطفى الأعظمي، دراسات في الحديث النبوي جـ ١ ص ٥٤.
- (٥٣) أحمد الصويان، صحائف الصحابة وتكوين السنة ص ٥٧.
- (٥٤) رفعت عبد المطلب، توثيق السنة في القرن الثاني ص ٤٩-٥٣.
- (٥٥) المرجع السابق ص ٦٠-٦١.
- (٥٦) لمعرفة المزيد عن هذه الطرق انظر مثلاً: رفعت عبد المطلب، توثيق السنة في القرن الثاني الهجري ص ١٨٣-٢٣٨.
- (٥٧) الذهبي، تذكرة الحفاظ جـ ١ ص ٨٦؛ شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون جـ ١ ص ٧٦-٧٧.
- (٥٨) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري جـ ١ ص ٢٠٤.
- (٥٩) الخطيب البغدادي، تقييد العلم ص ١٠٥.
- (٦٠) أحمد الصويان، صحائف الصحابة وتكوين السنة ص ٢٢٢.
- (٦١) ابن كثير، البداية والنهاية جـ ٩ ص ٣٤-٣٤٨.
- (٦٢) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله جـ ١ ص ٧٦.
- (٦٣) يعني رويانا عنه أشياء كثيرة.

- (٦٤) يعني الخليفة الأموي الوليد بن يزيد وقد قتل سنة ١٢٦هـ.
- (٦٥) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٥ ص ١٤١، سير أعلام النبلاء ج٥ ص ٣٣٤.
- (٦٦) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله ج١ ص ٧٣، ابن كثير، البداية والنهاية ج٩ ص ٣٤٢، أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، ج٣ ص ٣٦٣.
- (٦٧) فصلنا القول في بيان الفرق بين التكوين للرسمي والتكوين الشخصي لأن عدم فهم هذا الفرق وعدم فهم المراد من وصف الزهري في بعض المصادر بأنه أول من دون العلم هو أحد أسباب الوهم بأن التكوين لم يبدأ عند المسلمين إلا في القرن الثاني، وأن للمعارف كانت تتقل مشافهة فقط قبل ذلك.
- (٦٨) ابن النديم، الفهرست ص ١٣٤.
- (٦٩) تاريخ الإسلام ج٦ ص ٥-٦، تذكرة الحفاظ ج١ ص ١٥١، ٢٢٩.
- (٧٠) ابن حنبل، اللعل ومعرفة الرجال تحقيق طلعت فوج وإسماعيل جراح، ج٢ ص ٣٦٣، الخطيب البغدادي للجامع لأخلاق الراوي ج٢ ص ٢٨١، للذهبي، تذكرة الحفاظ ج١ ص ١٦٩، سير أعلام النبلاء ج٧ ص ١١١.
- (٧١) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٦ ص ٥-٦، تذكرة الحفاظ ج١ ص ٢٢٩.
- (٧٢) للدوري، علم التاريخ عند العرب ص ٨١.
- (٧٣) سزكين، تاريخ التراث، مجلد ١ ج٢ ص ٧٧-٧٩.
- (٧٤) عبد الملك بن دهبش، مقنمة تحقيق كتاب أخبار مكة للفاكهي ج١ ص ٦٢.
- (٧٥) عبد الحميد حسن ومحمد حسن، كشف كتاب تاريخ المدينة لابن شبة

ص ٦٤.

(٧٦) فهارس الكتاب ج ٦ ص ١٥٣-١٥٤.

(٧٧) انظر مثلاً ج ١ ص ٥٧-٥٩، ١٠٣-١١٥، ٢٠١-٢١٥، ٢٢١-

٢٢٣، ج ٢ ص ١١٤-١١٨.

(٧٨) كشاف كتاب تاريخ المدينة ص ٣٥.

(٧٩) ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب ج ٦ ص ٣٠٢، سزكين، تاريخ

التراث، المجلد ١ ج ١ ص ١٦٦.

(٨٠) عبد العزيز السنيدي، الحياة العلمية في مكة خلال القرنين الثاني

والثالث الهجريين ص ٢٩٩-٣٠٠.

(٨١) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني ج ٦ ص ٩٤.

(٨٢) انظر مثلاً: ص ٢٣، ٣٨، ٦٨، ٧٦، وناصر الدين الأسد، مصادر

الشعر الجاهلي ص ٥٤٩.

(٨٣) ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي ص ٥٤٣-٥٤٤.

(٨٤) ناصر الدين الأسد، المرجع نفسه ص ٥٦١؛ وفؤاد سزكين، تاريخ

التراث، المجلد ٢ ص ٥٤.

(٨٥) فؤاد سزكين، تاريخ التراث، المجلد الثاني ج ١ ص ٦١.

(٨٦) الفهرست ص ١٠١-١٠٢ وكتب القبائل، ودولوين أشعارها هذه كلها

فقدت ولم يصلنا منها سوى كتاب أشعار هذيل.

(٨٧) ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي ص ٦٤، ٥٥٢-٥٥٤.

(٨٨) لا نقصد هنا العصبية الجاهلية الممقوتة، بل العصبية بمعنى الانتماء

والحب والاعتزاز.

(٨٩) يذكر بعض الباحثين رسالة ((فضائل مكة)) للحسن البصري (ت ١١٠هـ) باعتبارها من المؤلفات في تاريخ مكة، والحقيقة أن هذه الرسالة لا علاقة لها بالتاريخ بتاتاً فهي عبارة عن رسالة كتبها الحسن البصري إلى صديق له كان يسكن مكة وأراد النزوح منها إلى اليمن، فكتب له هذه الرسالة يحثه على البقاء وينكر الآيات والأحاديث التي وردت في فضل مكة، والرسالة تقع في بضعة عشرة صفحة.

(٩٠) المزني، تهذيب للكمال، ج ١٩ ص ٤٦٧.

(٩١) وضع الباحث الدكتور محمد مصطفى الأعظمي قاعدة في تقدير تاريخ ولادة الرواة ووفياتهم بشكل تقريبي، تلتخص في تتبع شيوخ الرواي ومعرفة تاريخ وفاة أئمتهم وحذف عشرين عاماً من ذلك التاريخ، اعتماداً على أن رواية العلم، في القرون الأولى كانت تبدأ غالباً في سن العشرين تقريباً. أما عند معرفة تاريخ الوفاة، أو تاريخ المولد فقط، فاعتمد متوسط خمسة وستين عاماً، كمتوسط أعمار، يضيفها إلى تاريخ الولادة، أو يحذفها من تاريخ الوفاة (انظر: دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تكوينه ج ١ ص ٨٦).

(٩٢) أخبار مكة ج ١ ص ١٩٩-٢٠٠.

(٩٣) الجرح والتعديل ج ٦ ص ١٦٢.

(٩٤) المزني، تهذيب للكمال ج ١٩ ص ٤٦٨-٤٦٩، ابن حجر العسقلاني،

لسان الميزان ج ٤ ص ١٤٢.

(٩٥) تاريخ التراث العربي، المجلد الأول ج ٢ ص ٢٠١.

(٩٦) ج ١ ص ١٣٦-١٤٩.

(٩٧) ج ١ ص ١٧٩-١٩٠.

- (٩٨) جـ ١ ص ٢٠١-٢١٢.
- (٩٩) انظر فهارس الكتاب من إعداد المحقق عبد الملك بن دهبش (جـ ٦ ص ١٥٧-١٥٨)
- (١٠٠) انظر مثلاً: أخبار مكة جـ ١ ص ٤٠، ٤١، ٤٣، ٤٥.
- (١٠١) انظر مثلاً: أخبار مكة جـ ١ ص ٣٧١، ٣٧٣، ٣٧٤.
- (١٠٢) المزي، تهذيب الكمال جـ ١٩ ص ٤٦٨.
- (١٠٣) تاريخ التراث العربي، المجلد الأول جـ ٢ ص ٢٠١.
- (١٠٤) مقمة تحقيق أخبار مكة للفاكهي جـ ١ ص ٦٤.
- (١٠٥) انظر: ابن سعد، الطبقات جـ ٥ ص ٤٣٦ ؛ والخطيب البغدادي، تاريخ بغداد جـ ١٠ ص ٤٤٠، والمزي، تهذيب الكمال جـ ١٨ ص ١٧٨، والسخوي، التحفة اللطيفة جـ ٣ ص ٣٤.
- (١٠٦) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد جـ ١٠ ص ٤٤٠.
- (١٠٧) ابن أبي حاتم الرززي، الجرح والتعديل جـ ٥ ص ٣٩٠-٣٩١ ؛ المزي، تهذيب الكمال جـ ١٨ ص ١٨٠-١٨١.
- (١٠٨) ابن النديم ، الفهرست ص ١٥٧.
- (١٠٩) السخوي، للتحفة اللطيفة جـ ٣ ص ٣٥.
- (١١٠) تتبع الباحث روايات ابن عمران عند ابن شبة فوجدها في (٩٥) موضعاً
- (١١١) تتبع الباحث روايات ابن عمران عند الأزرق فوجدها في أربعة عشر موضعاً (جـ ١ ص ٤٢، ١٠٢، ١٢١، ١٧٤، ٣٤٧، ٣٤٨، جـ ٢ ص ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٦، ٢١٤، ٢٧٣، ٢٨٠، ٢٨١.

(١١٢) روى عنه في أحد عشر موضعاً، انظر فهرس الكتاب جـ ٦

ص ١٥٢.

(١١٣) مؤلفات في تاريخ المدينة، مجلة العرب، السنة الرابعة، الجزء

الثاني، شعبان ١٣٨٩هـ - ص ٩٩.

(١١٤) مقدمة تحقيق كتاب المغنم المطابة في معالم طابة للفيروزبادي ص

(و) .

(١١٥) للمزي، تهذيب الكمال جـ ١٨ ص ١٨٠-١٨١؛ السخاوي، التحفة

للطيفة جـ ٣ ص ٣٥.

(١١٦) مصعب الزبيري، نسب قريش ص ١٩٧؛ الفاكهي، أخبار مكة جـ ٣

ص ٣٠١؛ للذهبي سير أعلام النبلاء جـ ٩ ص ٣١٩.

(١١٧) للمزي، تهذيب الكمال جـ ١٠ ص ٤٥٤-٤٥٥.

(١١٨) المصدر السابق جـ ١٠ ص ٤٥٥؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء جـ ٩

ص ٣١٩-٣٢٠.

(١١٩) الفاكهي، أخبار مكة جـ ١ ص ٢٩٦.

(١٢٠) أخبار مكة جـ ٢ ص ٣٤٨.

(١٢١) سير أعلام النبلاء جـ ٩ ص ٣٢٠.

(١٢٢) انظر الأزرق، أخبار مكة جـ ١ ص ٤٩، ٥٠، ٦٠، ٧٨، ١٦٨،

٢٥٠، ٣١١.

(١٢٣) السخاوي، التحفة للطيفة جـ ٣ ص ٥٥٦.

(١٢٤) لعله نسبة إلى منطقة زباله التي تقع في أطرافه المدينة شمالي جبل

سلع وقرب وادي قناة (السهودي، وفاء الوفاء جـ ١ ص ١٠).

- (١٢٥) تهذيب الكمال جـ ٢٥ ص ٦١-٦٤.
- (١٢٦) السخاوي، التحفة اللطيفة جـ ٣ ص ٥٥٧.
- (١٢٧) انظر المزي، تهذيب الكمال جـ ٢٥ ص ٦٤-٦٧.
- (١٢٨) ابن حجر، تهذيب التهذيب جـ ٩ ص ١١٧.
- (١٢٩) السهودي، وفاء الوفاء جـ ١ ص ٣٥٢.
- (١٣٠) الإعلان بالتوبيخ لمن تم التاريخ ص ٦٤٢ (الطبعة الملحقة بكتاب علم التاريخ عند المسلمين لروزنتال).
- (١٣١) وفاء الوفاء جـ ١ ص ٥٥٢، ٥٦٢.
- (١٣٢) نفسه جـ ١ ص ٦٣٥. وحمد الجاسر، مؤلفات في تاريخ المدينة، مجلة العرب، السنة الرابعة العدد الخامس، نو القعدة ١٣٨٩هـ ص ٢٦٥.
- (١٣٣) انظر ص ١٩، ٢٠، ٣٠، ٣٣، ٣٩، ٤٣، ٤٥، ٥١، ٥٧، ٦٥، ٧٢، ٧٨.
- (١٣٤) انظر فهرس الكتاب ص ٢٢١-٢٢٢.
- (١٣٥) صالح العلي، الحجاز في صدر الإسلام ص ٣٠.
- (١٣٦) صالح العلي، الحجاز في صدر الإسلام ص ٣١، وصلاح سلامة، أول كتاب في تاريخ المدينة، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة العدد الثاني ص ٨١-٨٢.
- (١٣٧) بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار جـ ٣ ص ٢٣-٢٤.
- (١٣٨) نشره المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤٠١هـ/١٩٨١م. انظر مقدمة محقق الكتاب ص ٤-٥. وطبع الكتاب نفسه

بتحقيق مكتبة الشهابي منسوباً إلى الزبير بن بكار ونشرته مؤسسة الرسالة بيروت
سنة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

(١٣٩) ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب ج٩ ص ١١٧.

(١٤٠) المزي، تهذيب الكمال، ج٢٥ ص ٦٤.

(١٤١) انظر مثلاً: عبد الجبار ناجي، إسهامات مؤرخي البصرة في الكتابة
للتاريخية حتى القرن الرابع الهجري ص ٩٧؛ فاروق فوزي، التكوين التاريخي عند
المسلمين ص ٢٠١.

(١٤٢) للمزي، تهذيب الكمال ج٢٦ ص ٦٣٧-٦٣٨.

(١٤٣) السهودي، وفاء الوفاء ج١ ص ٣٧٥.

(١٤٤) المزي، تهذيب الكمال ج٢٦ ص ٦٣٦-٦٣٧، ابن حجر

العسقلاني، تهذيب التهذيب ج٩ ص ٥١٧، ٥١٨.

(١٤٥) المزي، تهذيب الكمال ج٢٦ ص ٦٣٧، ابن حجر العسقلاني،

تهذيب التهذيب ج٩ ص ٥١٨.

(١٤٦) المزي، تهذيب الكمال ج٢٦ ص ٦٣٧، ابن حجر العسقلاني،

تهذيب التهذيب ج٩ ص ٥١٨.

(١٤٧) سلام شافعي، مؤرخ المدينة عمر بن شبة وكتابه تاريخ المدينة

ص ٣٢.

(١٤٨) مجلة العرب، مؤلفات في تاريخ المدينة، السنة الرابعة ١٣٨٩هـ -

ص ٣٢٨.

(١٤٩) ج٢ ص ٦٨٨.

(١٥٠) ج١ ص ١٢١.

- (١٥١) جـ ١ ص ١٠٨.
- (١٥٢) ابن شبة، تاريخ المدينة جـ ١ ص ٢٢٥.
- (١٥٣) يقصد حجة وقف سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لعدد من الدور التي كان يملكها.
- (١٥٤) ابن شبة، تاريخ المدينة جـ ١ ص ٢٣٨.
- (١٥٥) تاريخ المدينة جـ ٣ ص ١٠١٨.
- (١٥٦) مؤلفات في تاريخ المدينة، مجلة العرب السنة الرابعة ١٣٨٩ ص ١٠٠.
- (١٥٧) فهارس تاريخ الطبري جـ ١٠ ص ٤٠٨ ؛ محمد السلمي، منهج كتابة التاريخ الإسلامي ص ٤٨٧.
- (١٥٨) ص ٣٢١ ، ٣٥٩ ، ٣٦٣ ، ٣٦٩ ، ٤٠٣ ، ٤٤٥.
- (١٥٩) مقاتل الطالبين ص ١١٧ ، ٢٢٩.
- (١٦٠) أخبار مكة جـ ١ ص ٣٤٢ ، جـ ٤ ص ٨٢.
- (١٦١) السهمودي، وفاء الوفاء جـ ١ ص ٣٧١.
- (١٦٢) الذهبي، تهذيب التهذيب جـ ٩ ص ٣٦٣.
- (١٦٣) المزي، تهذيب الكمال جـ ٢٦ ص ١٨١.
- (١٦٤) القمطر أو القمطرة هو ما تحفظ فيه الكتب صيانة لها من التلف.
- (١٦٥) ابن النديم، الفهرست ص ١٤٤.
- (١٦٦) ابن سعد، الطبقات جـ ٥ ص ٤٣٤.
- (١٦٧) لنظر عن هذا الأمر: المزي، تهذيب الكمال جـ ٢٦ ص ١٨٢ - ١٩٢.

- (١٦٨) سير أعلام النبلاء جـ ٩ ص ٤٥٤.
- (١٦٩) الجرح والتعديل جـ ٧ الترجمة ١٢٥٤؛ المزي، تهذيب الكمال جـ ٢٥ ص ٦٦.
- (١٧٠) الخطيب للبغدادي، تاريخ بغداد جـ ٥ ص ٣١٢.
- (١٧١) انظر: أكرم ضياء العمرى، مقننة تحقيق كتاب أزواج النبي ﷺ لابن زبلة ص ١٢-١٣.
- (١٧٢) محمد السلمي، منهج كتابة التاريخ الإسلامي ص ٣٥٦.
- (١٧٣) ابن النديم، الفهرست ص ١٣٧. شاعر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون جـ ١ ص ١٧٨.
- (١٧٤) انظر: طارق أبو الوفاء محمد، الواقدي ومنهجه في كتابه المغازي لرسول ﷺ ص ١٠٢-١١٠.
- (١٧٤) انظر جـ ١ ص ١٢١، ١٢٢، ١٢٧، ١٧٢، ٢١٩، ٢٢٠.
- (١٧٥) انظر جـ ١ ص ٣٤.
- (١٧٦) انظر جـ ١ ص ٥١، ٦٠، ٩٦، ١٣١، ١٣٩، ١٧٥، ٢٣٦، ٢٥٥.
- (١٧٧) انظر: طارق أبو الوفاء محمد، الواقدي ومنهجه في كتابه المغازي ص ١٩٤-٢٠١.
- (١٧٨) ابن النديم، الفهرست ص ١٤٤.
- (١٧٩) اختلف في كنيته فجزم الإمام البخاري وهو ممن عاصره والتقى به أن كنيته (أبو محمد) وقال بذلك أيضاً ابن أبي حاتم الرازي، والحاكم وابن حبان وغيرهم (ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب جـ ١ ص ٧٩)، وذكر بعض المؤرخين المتأخرين أنه يكنى بأبي الوليد، وقيل بابي محمد (المزي، تهذيب الكمال

- جـ ١ ص ٤٨٠، الفاسي، العقد الثمين جـ ٣ ص ١٧٦).
- (١٨٠) ذكر ابن سعد رواية تشير إلى أن الأزرق جد الأزرق كان رومياً وإن أسرته أدعت فيما بعد الانتماء إلى الغساسنة (الطبقات جـ ٣ ص ٢٤٧) لكن أغلب من ترجموا له ينسبونه إلى الغساسنة.
- (١٨١) المزي، تهذيب الكمال جـ ١ ص ٤٨٠-٤٨١، الفاسي، العقد الثمين جـ ٣ ص ١٧٦.
- (١٨٢) المزي، تهذيب الكمال جـ ١ ص ٤٨١، الفاسي، العقد الثمين جـ ٣ ص ١٧٦.
- (١٨٣) الفاسي، العقد الثمين جـ ٣ ص ١٧٧.
- (١٨٤) الأزرق، أخبار مكة جـ ١ ص ٢٨٧.
- (١٨٥) الفهرست ص ١٦٢.
- (١٨٦) جـ ١ ص ٤٨ طبعة حيدر أباد.
- (١٨٧) فهرس مخطوطات الظاهرية، قسم الحديث ص ٢٢٥. ولهذا فقد عده الألباني من حيث التوثيق الحديثي في حكم المستورين عند المحدثين الذين يستأنس بحديثهم ولا يحتج به.
- (١٨٨) الفاسي، العقد الثمين جـ ٢ ص ٤٩-٥٠.
- (١٨٩) انظر الأزرق، أخبار مكة جـ ١ ص ٦٤.
- (١٩٠) العقد الثمين جـ ٢ ص ٤٩.
- (١٩١) جـ ١ ص ٤.
- (١٩٢) جـ ١ ص ٢٢.
- (١٩٣) فهد الدامغ، تقي الدين الفاسي ومنهجه في التكوين التاريخي، رسالة

دكتوراه غير منشورة ص ٣١٠.

(١٩٤) الفاسي، العقد الثمين جـ ٣ ص ٢٩٠، الذهبي، سير أعلام النبلاء

جـ ١٤ ص ٢٨٩.

(١٩٥) أخبار مكة جـ ١ ص ١٠٨، ٢٦٣، ٣١٤، ٣١٧، ٣٢١، جـ ٢ ص

٨٩، ٩٣.

(١٩٦) أخبار مكة جـ ٢ ص ٩٢، ١١٢.

(١٩٧) عن أهمية دراسة الاسانيد، وكونها تشير أحياناً إلى مؤلفين سابقين،

انظر: فولاد سزكين، تاريخ التراث العرب، مجلد ١ جـ ٢ ص ٦، ١٠.

(١٩٨) للذهبي، سير أعلام النبلاء جـ ١٢ ص ٣١١-٣١٢.

(١٩٩) للمزي، تهذيب الكمال جـ ٩ ص ٢٩٤-٢٩٥، الذهبي، سير أعلام

النبلاء جـ ١٢ ص ٣١٢.

(٢٠٠) معجم الأبناء جـ ١١ ص ١٦١.

(٢٠١) تاريخ بغداد جـ ٨ ص ٤٦٧.

(٢٠٢) معجم الأبناء جـ ١١ ص ١٦١.

(٢٠٣) وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٣١١.

(٢٠٤) ميزان الاعتدال جـ ٢ ص ٦٦، سير أعلام النبلاء جـ ١٢ ص ٣١٤.

(٢٠٥) للعقد الثمين جـ ٤ ص ٤٢٨.

(٢٠٦) تهذيب التهذيب جـ ٣ ص ٣١٣.

(٢٠٧) ياقوت، معجم الأبناء جـ ١١ ص ١٦٤.

(٢٠٨) للمزي، تهذيب الكمال جـ ٩ ص ٢٩٥-٢٩٦.

(٢٠٩) للفهرست ص ١٦١.

- (٢١٠) وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٣١١.
- (٢١١) الإعلان بالتوبيخ، الطبعة الملحقة بكتاب علم التاريخ عند المسلمين لروزنتال ص ٥٨٤.
- (٢١٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد جـ ٨ ص ٤٦٩.
- (٢١٣) طبع هذا الكتاب بعنوان جمهرة نسب قریش وأخبارها بتحقيق محمود محمد شاكر وصدر في القاهرة سنة ١٩٦٢م.
- (٢١٤) رجع له الفاسي في كتاب العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين في مائتين وخمسة وثلاثين موضعاً (انظر: فهد الدامغ، نقي الدين الفاسي ومنهجه في التنوين التاريخي ص ٣٣٥).
- (٢١٥) حققته سكينة الشهباني وطبع بمؤسسة الرسالة بيروت سنة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- (٢١٦) حمد الجاسر، مقدمة تحقيق كتاب المغانم المطابة للفيروزبادي ص (ز)، فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي مجلد ١ جـ ٢ ص ١٤٩.
- (٢١٧) صالح العلي، الحجاز في صدر الإسلام ص ٣٧-٣٨.
- (٢١٨) وفاء الوفاء جـ ٣ ص ١٠٦٥.
- (٢١٩) انظر مثلاً جـ ٣ ص ١٠٣٩، ١٠٤١، ١٠٤٧، ١٠٤٩، ١٠٦٨، ١٠٨٠، ١٠٨٥.
- (٢٢٠) المغانم المطابة في معالم طابة ص ٣٧٧، ٤٠٩.
- (٢٢١) مثل ص ٤٣، ٤٤، ٥١، ٦٢، ١٢٥، ٢٢٠، ٢٤٤، ٢٥٣، ٢٨٦، ٣٤١، ٣٨٨.
- (٢٢٢) ص ٦٤٨.

- (٢٢٣) ص ٥٨٤.
- (٢٢٤) للذهبي، سير أعلام النبلاء ج ١٢ ص ٣٦٩، ٣٧١.
- (٢٢٥) تهذيب للكمال ج ٢١ ص ٣٨٨-٣٨٦.
- (٢٢٦) تاريخ المدينة ج ١ ص ٥٦.
- (٢٢٧) تاريخ المدينة ج ١ ص ٧٤.
- (٢٢٨) ج ٣ ص ٣٣٥.
- (٢٢٩) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ج ١١ ص ٢٠٨، ابن حجر، تهذيب
للتهذيب ج ٧ ص ٤٦٠-٤٦١.
- (٢٣٠) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ج ١١ ص ٢٠٩.
- (٢٣١) ابن حجر، تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٤٦٠.
- (٢٣٢) صالح العلي، للحجاز في صدر الإسلام ص ٣٤.
- (٢٣٣) ابن النديم، للفهرست ص ١٦٣ سلام شافعي، مؤرخ المدينة عمر بن
شبة ص ١٥-١٩.
- (٢٣٤) حققه الأستاذ فهم محمد شلتوت، وطبع بدار الأصفهاني بجدة.
- (٢٣٥) تاريخ للمدينة المنورة لابن شبة، مقنة المحقق ص (م ن).
- (٢٣٦) سير أعلام النبلاء ج ١٢ ص ٣٧١.
- (٢٣٧) للتحفة للطيفة ج ٣ ص ٣٣٥.
- (٢٣٨) وفاء الوفاء ج ١ ص ٧٥١.
- (٢٣٩) مقنة كتاب تاريخ المدينة لابن شبة ص (ن س).
- (٢٤٠) سلام شافعي، مؤرخ المدينة عمر بن شبة ص ١٣٥-١٣٦.
- (٢٤١) تاريخ المدينة ج ٣ ص ١٠١٨.

- (٢٤٢) الإعلان بالتوبيخ، ص ٦٤٨.
- (٢٤٣) انظر فتح الباري ج ٤ ص ١٩٤، ٢٠١، ٢١٤، ٢١٥، ٢٤٦، والإصابة ج ١ ص ٤٩٨، ٨٤١، ٩٥٠. وانظر أيضاً صالح العلي، الحجاز في صدر الإسلام ص ٥٧٥؛ وفؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي مجلد ١ ج ٢ ص ٢٠٦.
- (٢٤٤) ج ١ ص ٤٩، ٥٠.
- (٢٤٥) العقد الثمين ج ١ ص ٤١٠-٤١١.
- (٢٤٦) مقدمة تحقيق كتاب أخبار مكة للفاكهي ج ١ ص ١١.
- (٢٤٧) مقدمة تحقيق أخبار مكة للفاكهي ج ١ ص ١٢، ١٤-١٧.
- (٢٤٨) الفاكهي، أخبار مكة ج ١ ص ٤٧٧-٤٧٩.
- (٢٤٩) يوجد منه نسخة مخطوطة مصورة بمكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة برقم ٢٢٨.
- (٢٥٠) عبد الملك بن دهيش، مقدمة تحقيق كتاب أخبار مكة للفاكهي ص ٣٠-٣١.
- (٢٥١) العقد الثمين ج ١ ص ٤١٠.
- (٢٥٢) مقدمة تحقيق كتاب أخبار مكة للفاكهي ج ١ ص ٣٢.
- (٢٥٣) العقد الثمين ج ١ ص ٤١١.
- (٢٥٤) ج ١ ص ٤.
- (٢٥٥) فهد الدامغ، تقي الدين الفاسي ومنهجه في التكوين التاريخي، رسالة دكتوراه غير منشورة ص ٣١٠.
- (٢٥٦) ابن دهيش، مقدمة تحقيق كتاب أخبار مكة للفاكهي ج ١ ص ٣٦-٣٨.

- (٢٥٧) ابن عنبه، عمدة للطالب في أنساب آل أبي طالب، ص ٣٠٤، السهمودي، وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٥٢.
- (٢٥٨) انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ج ٢ ص ١١٥، ج ٥ ص ٢٨٦، ٢٨٨، ج ٧ ص ٢٩٣، ٤٢١، ج ٩ ص ٤٣٢، والسهمودي، وفاء الوفاء ج ١ ص ٥١٣، ٤٤٨، ٤٥٨.
- (٢٥٩) ابن عنبه، عمدة للطالب ص ٣٠٤.
- (٢٦٠) السخوي، التحفة للطيفة ج ١ ص ٤١٧، ٥١٥.
- (٢٦١) ابن عنبه، عمدة الطالب ص ٣٠٤.
- (٢٦٢) الإعلان بالتوبيخ ص ٦٤١، ٦٤٢.
- (٢٦٣) وفاء الوفاء ج ١ ص ٦٨.
- (٢٦٤) للمصدر السابق ج ١ ص ٤٩٤، ج ٢ ص ٥٥١.
- (٢٦٥) المصدر السابق ج ١ ص ٣٥٢.
- (٢٦٦) انظر مثلاً ص ١٠، ١٤، ١٧، ٧٣، ٨٠، ٨٣، ١٦٩، ١٨٠، ٢٤٢، ٤٨٣، ٥٦٥.
- (٢٦٧) تاريخ للتراث العربي مجلد ١ ج ٢ ص ٦١.
- (٢٦٨) انظر ص ٣٦٣، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٧١، ٣٧٨، ٤٠٣.
- (٢٦٩) انظر ص ٣٦، ٣٨، ٣٩، ٤١-٤٨، ٥١، ٥٤، ٥٧، ٦١، ٧٦، ٨٨، ١٠٠، ١٤١.
- (٢٧٠) انظر ج ١ ص ٣٢٥، ٣٣٤، ٣٣٦، ٣٤١، ٣٧١، ٣٨٠، ٣٩٠، ٣٩٨، ٤٠١، ٤٤٨.
- (٢٧١) صالح العلي، الحجاز في صدر الإسلام ص ٣٣.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر :

- ١- ابن الأثير، علي بن محمد الجزري (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢م)، أسد الغابة في معرف الصحابة، دار إحياء التراث ، بيروت .
- ٢- الأزرقي، محمد بن عبد الله (ت ٢٤٨ هـ / ٨٦٢ م)، أخبار مكة، تحقيق رشدي ملحس، دار الأندلس .
- ٣- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (٣٥٦ هـ / ٩٦٦م)، الأغاني، دار الفكر، بيروت ١٩٧٠ م .
- ٤- _____، مقاتل الطالبين، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعرفة ، بيروت .
- ٥- الأمدى، الحسن بن بشر (ت ٣٧٠ هـ / ٩٨٠م)، المؤلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم، نشر كرئكو القدسي ١٣٥٤ هـ .
- ٦- الترمذي، محمد بن عيسى (٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م) الجامع الصحيح ((سنن الترمذي)) مطبعة البابي الحلبي، القاهرة ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م .
- ٧- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ / ٨٦٨ م)، البيان والتبيين، دار التراث العربي، بيروت ١٩٦٨ م .
- ٨- ابن أبي حاتم الرازي، عبد الرحمن (٣٢٧ هـ / ٩٣٨ م)، الجرح والتعديل، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن بالهند ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٣ م .
- ٩- ابن حنبل، الإمام أحمد بن محمد (٢٤١ هـ / ٨٥٥م)، العلل ومعرفة الرجال، تحقيق طلعت قواج، و إسماعيل جراح، المكتبة الإسلامية بتركيا ١٩٨٧ م .

- ١٠- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٩ م)، الإصابة في تمييز الصحابة، دار الفكر، بيروت ١٣٩٨ هـ / ١٩٦٨ م.
- ١١- _____، تهذيب التهذيب، مجلس دائرة المعارف النظامية حيدر آباد الدكن بالهند ١٣٢٥ هـ .
- ١٢- _____، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، القاهرة ١٤٠٧ هـ .
- ١٣- الحربي: إبراهيم بن إسحاق (ت ٢٨٥ هـ / ٨٩٨ م)، كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، تحقيق حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م.
- ١٤- الخطيب البغدادي، أحمد بن علي (٤٦٣ هـ / ١٠٧١)، تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، بيروت .
- ١٥- _____، تقييد العلم، تحقيق يوسف العش، دار أحياء السنة النبوية ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م .
- ١٦- ابن خلكان، أحمد بن محمد (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م)، وفیات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار صادر، بيروت .
- ١٧- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٨ م)، تنكرة الحفاظ، دار إحياء التراث، بيروت .
- ١٨- _____، تاريخ الإسلام، تحقيق عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م
- ١٩- _____، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأنطاوي وزملائه، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٠ هـ .

- ٢٠- _____ ، ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٣ م .
- ٢١- الزبيري، المصعب بن عبد الله (ت ٢٣٦ هـ / ٨٥١ م) ، نسب قریش، تحقيق ليفي برفينسال، دار المعارف ، القاهرة .
- ٢٢- السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢ هـ / ١٤٩٧ م)، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، مطبوع مع كتاب علم التاريخ عند المسلمين لروزنتال، ترجمة صالح العلي، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م
- ٢٣- _____ ، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، دار نشر الثقافة القاهرة ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .
- ٢٤- ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠ هـ / ٨٤٥ م)، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت .
- ٢٥- السمعاني، عبد الكريم بن محمد (٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م)، الأنساب، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن بالهند ١٣٨٢ هـ .
- ٢٦- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (٩١١ هـ / ١٥٠٦ م)، الشماريخ في علم التاريخ، تحقيق إبراهيم السامرائي، بغداد ١٣٩١ هـ .
- ٢٧- السهودي، علي بن أحمد (٩١١ هـ / ١٥٠٦ م)، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث، بيروت ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .
- ٢٨- ابن شبة، عمر بن شبة النميري (ت ٢٦٢ هـ / ٨٧٦ م)، تاريخ المدينة المنورة، تحقيق فهد شلتوت، دار الأصفهاني، جدة ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .

- ٢٩- أبو شامة المقدسي، عبد الرحمن بن اسماعيل (٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م)،
الروضتين في أخبار الدولتين، تحقيق محمد حلمي أحمد، لجنة التأليف والترجمة
والنشر، القاهرة ١٩٥٦ م.
- ٣٠- ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله (ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧١ م)، الاستيعاب
في معرفة الأصحاب، بهامش كتاب الإصابة لابن حجر، دار الفكر، بيروت ١٣٩٨
هـ/ ١٩٦٨ م.
- ٣١- _____، جامع بيان العلم وفضله، القاهرة ١٣٨٨ هـ /
١٩٦٨ م.
- ٣٢- ابن عنبه، أحمد بن علي الحسني (ت ٨٢٨ هـ / ١٤٢٤ م)، عمدة
الطالب في أنساب آل أبي طالب، مؤسسة انصارين، إيران، قم ١٤١٧ هـ /
١٩٩٦ م.
- ٣٣- لفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد (٨٣٢ هـ / ١٤٢٩ م)، العقد
الثلثين في التاريخ البلاد الأمين، تحقيق محمد الفقي وفؤاد سيد، مطبعة السنة
المحمدية، القاهرة ١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩ م.
- ٣٤- _____، شفاء الغرام بأخبار البلاد الحرام، مكتبة النهضة
للحديثة، مكة ١٩٥٦ م.
- ٣٥- الفاكهي، محمد بن إسحاق (ت ٢٧٢ هـ / ٨٨٥ م)، أخبار مكة
في قديم الدهر وحديثه، تحقيق عبد الملك بن دهيش، مكة المكرمة ١٤٠٧
هـ/ ١٩٨٦ م.
- ٣٦- الفيروزبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (٨١٧ هـ / ١٤١٥ م)،
المغانم المطابة في معالم طابة، تحقيق حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض ١٣٨٩

هـ / ١٩٦٩ م .

٣٧- ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر (٧٧٤ هـ / ١٣٧٣ م)، البداية والنهاية، مكتبة المعارف ، بيروت ١٩٦٦ م .

٣٨- المراغي: أبو بكر بن الحسين (ت ٨١٦ هـ / ١٤١٣م)، تحقيق النصره بتلخيص معالم دار الهجرة، تحقيق محمد الأصمعي، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ١٤٠١ هـ / ١٩٨١م.

٣٩- المزي، جمال الدين يوسف (٧٤٢ هـ / ١٣٤١ م)، تهذيب للكمال في أسماء الرجال، تحقيق بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م .

٤٠- ابن اللديم، محمد بن إسحاق (٣٨٥ هـ /) ، الفهرست ، دار المعرفة ، بيروت ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

٤١- ابو نعيم الأصفهاني، أحمد بن عبد الله (ت ٤٣٠ هـ / ١٠٣٨)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٤٢- ياقوت الحموي: شهاب الدين ياقوت بن عبد الله (٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م)، معجم الأدياء، دار الفكر ، بيروت ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .
ثانياً : المراجع :

٤٣- أحمد الصويلان، صحائف الصحابة وتكوين السنة النبوية المشرفة، الرياض ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م.

٤٤- بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة .

٤٥- حمد الجاسر، مؤلفات في تاريخ المدينة، مجلة العرب، السنة الرابعة،

للجزء الثاني، ١٣٨٩هـ.

٤٦- _____، مقدمة تحقيق كتاب المغامم المطابة في معالم طابة

للفيروزبادي، دار اليمامة، الرياض ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .

٤٧- رفعت عبد المطلب، توثيق السنة في القرن الثاني الهجري أسسه و

اتجاهاته، مكتبة الخانجي للقاهرة ١٤٠٠ هـ / ١٩٨١ م .

٤٨- سالم أحمد محل، المنظور الحضاري في التدوين التاريخي عند

العرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر ١٤١٨ هـ .

٤٩- سلام شافعي سلام، مؤرخ المدينة عمر بن شبة وكتابه تاريخ المدينة

للمنورة، نادي المدينة الأدبي ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م .

٥٠- شاكرك مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين،

بيروت ١٩٧٩ م .

٥١- صالح أحمد العلي، للحجاز في صدر الإسلام، مؤسسة الرسالة بيروت

١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م.

٥٢- _____، دراسات في تطور الحركة الفكرية في صدر

الإسلام، مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

٥٣- طارق أبو الوفا محمد، الواقدي و منهجه في كتاب مغلازي رسول الله

ﷺ، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة ٢٠٠٥ م .

٥٤- عبد الجبار ناجي، إسهامات مؤرخي البصرة في الكتاب التاريخية

حتى القرن الرابع الهجري، بغداد ١٩٩٠ م .

٥٥- عبد العزيز الدوري، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، دار

المشرق، بيروت ١٩٨٣ م.

- ٥٦- عبد العزيز بن راشد السندي، الحياة العلمية في مكة خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية العلوم الاجتماعية ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م .
- ٥٧- عبد الملك بن دهيش، مقمة تحقيق كتاب أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه للفكاهي، مكتبة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م .
- ٥٨- فاروق فوزي، التكوين التاريخي عند المسلمين، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م .
- ٥٩- فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، ترجمة محمود حجازي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
- ٦٠- فهد الدامغ، تقي الدين الفاسي ومنهجه في تدوين التاريخي، رسالة دكتوراه غير منشورة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، قسم التاريخ ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .
- ٦١- محمد السلمي، منهج كتابة التواريخ الإسلامي، دار طيبة، الرياض ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .
- ٦٢- محمد مصطفى الأعظمي، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تكوينه، المكتب الإسلامي، بيروت ١٩٨٠ م .
- ٦٣- ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، دار الجبيل، بيروت ١٩٨٨ م .
- مراجع أجنبية :

64- Blachere, Regis . Le Problem de Mahomet : Essai de biographihe critigue du fondateur de L Islam. paris: prsses

Universitaires du France, 1952.

- 65- Gibb, Hamilton A.R. ,Studies on the Civilization of Islam.
Edited by Stanford J. Shaw and William P. Polk. Billing and
Sons Limited, 1962.